لا تحلموا بعالم سعيد

تأليف

عادل معروف

المدائن

مادمنا هكذا ..

لا تحلموا بعالم سعيد ...

عادل معروف

لا تحلموا بعالم سعيد

بسم الله الرحمن الرحيم

● الكتاب : لا تحلموا بعالم سعيد
● الكاتب : عادل معروف .
● الطبعة : الأولى .
● التوزيع : دار المدائن للنشر والتوزيع .
● الناشر: دار المدائن للنشر والتوزيع
سموحة : ٢٧ ش محمود داود
عمارة الجمارك - الدور الثاني
الاسكندرية - تليفاكس : ٤٢٤٠٢٠٣

● التجهيز الفني : المدائن : تلفاكس ٤٢٤٠٢٠٣ /٠٣
● الإيداع القانوني : ٢٠٠٥/١٣٤٩٣
الترقيم الدولي : I.S.B.N.
977/5339/85/5

العـــــودة

فى الطـــــــائرة ......

جلست أنظر فى الساعة أرقب عقرب الساعات فى طريقه إلى موعد وصول الطائرة إلى مطار بيروت، مسرورا ببكالوريوس الهندسة الذى حصلت عليه من إنجلترا ..استرجع ذكريات بيتنا الواسع الكبير الذى تحوطه أشجار الزيتون و شجرات برتقال متفرقة زرعها لى أبى حينما كنت ابن ثمان سنين ...صورة أخى الصغير (ثائر) الذى تركه لنا أبى ابن شهور من عشر سنين لا تفارق ذهنى .. .كل عام كانوا يرسلون لى صورته أراه يكبر عاما بعد عام ..و أسمع صوته كل أسبوع ..كان أول من يرفع سماعة التليفون ...أخر مرة سمعته فيها كانت قبل أن تنقطع خطوط الاتصال بسبب غارة من غارات إسرائيل ...شكرنى كثيرا على الهدية التى كنت أرسلها له مرتين كل عام ... ملك قلبى بصوته العذب و صوره الجميلة و روحه الحلوة البريئة ...كما ملك قلوب الجميع ..منذ ستة شهور لم أسمع صوته ... أمى و شقيقتى المتزوجة و أخى الكبير يهتفون علىّ من أقرب مدينة إليهم يمكنهم الاتصال منها ..كلما سألتهم عن (ثائر) حبيب قلبى ... مرة قالوا فى المدرسة و مرة قالوا تركناه مع أختك (علا) بالبيت ..كم اشتقت إليك يا (ثائر) .

فى المطـــــار ....

جنود هنا وهناك منتشرون ...أصوات لاسلكى تخالط أصوات الهابطين .. و أصوات حقائب تزحف على أرض المطار كأصوات دبابات تزحف على أرض المعركة .... زحام ... بعض العيون ترقب من خلف نظارات سوداء بعض السائرين .. حزن الهزيمة و احتلال الجنوب يخيم على كل الوجوه كما تركتها منذ حمس سنين ... بعض

الأفواه تضحك ضحكات خجلى يكبلها عار الهزيمة ...

و ما أن عبرت باب المطار مع العابرين حتى انطلقت الصرخات وهطلت العيون ..أمهات و زوجات و أباء و أبناء و أصدقاء و أقارب ...كل يغنى على ليلاه ...من بين المنتظرين خارج المطار رأيت أمى تنطلق إلى من بعيد تعوقها أعوام خمسون من حولها شقيقى الكبير وشقيقتى الصغيرة و شقيقتى المتزوجة و زوجها و ولد لهما و صديق ...كلهم حضروا إلا ... (ثائر) ... انطلقت إليها أجر حقيبتين وثالثة صغيرة على كتفى ...اعتذرت لأثنين صدمتهما و أنا أنطلق نحوها ... عانقتنى و هى ترتعد ..بكت فى صدرى بكاءً فجر الدمع من عيني فرحت أبكى ...اختلط دمعى بدمعها الذى لم أظن له نضوباً .. تعلقت شقيقتى الصغيرة بظهرى و راحت تبكى ... شقيقتى المتزوجة تركت ابنها لزوجها و شقيقى اللذين لم يستطعا وصولا إلىّ ....ثم أمسكت بيدى و راحت تبكى .

أمسك صديق عمرى بالحقائب و راح يجرها إلى السيارة المنتظرة و من خلفه موكب البكاء ...ردد لسانى دون أن أدرى ...

وأين (ثائر) ؟! .

علا نحيب أمى :

فى البيت الذى ليس فيه أحد منا ! .

لما لم يأتى معكم ؟! .

رأيناه سعيداً فتركناه ! .

قلت طالما بخير فلا بأس ...بعد قليل سأراه إن شاء الله

اشتد نحيب أمى ...

قلت : ما الخبر ؟! .

قالت : إن شاء الله ! .

فى السيارة الأخرى رأيت صديقى يمسح دموعه براحتيه ويضرب

على عجلة القيادة .ثم انطلق انطلاقة الغضبان .

انطلقت السيارة وانطلق معها صوت شريط لأحد الدعاة يتحدث عن الشهادة والشهداء وثواب الصبر على البلاء و ما إن انطلق الشريط بالآية الكريمة ﴿**و لا تحسبن الذين قتلوا فى سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون** ... ﴾ حتى راح بكاء أمى و شقيقتى يذهب و ينأى عنهن حتى انزوى عند انزواء المحاضرة ....قلت للسائق :

من فضلك أريد سماع نشرة الأخبار .

أجاب : نعـــــــم

فـإذا بأنبـاء جـديدة عن غـارات جـديدة على جنوب لبنان : والضحايا ...زهرة ..هدى ..و بسام ....أطفال صغار..

عـادت أمى إلى البكاء ...أدركت أنها تبكى لمقتل الأطفال الأبرياء بالقرى التى يقصفها طيران اليهود، فقلت لها :

أطفـالنا فى الجنة إن شـاء الله ، و ربما كـان ذلك راحـة لهم من عناء الحيـاة ،و لليهـود يوم قادم إن شـاء الله ..ألم تسمعى كثيرا حديث رسول ﷺ : « لا تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود فيختبئ اليهودى وراء الحجر و الشجر فيقول الحجر و الشجر يا مسلم يا عبد الله هذا يهودى ورائى تعالى فاقتله .. » .

داخلنا السائق : و نعم بالله

هدأت انتفـاضـة أمى مع كلمـات الله التى تهبط على صدرها شفاء ... و مع التفاف السائق إلى طريق غير طريق قريتنا عاجلته قريتنا من هناك !.

عاجلتنى أمى بيد ترتجف :

بل قريتنا الجديدة من هنا .

قريتنا الجديدة ؟!.

نعـــم قريتنا الجديدة .

و قريتنا ؟! .

مكانهـــا

مكانها كيف! ماذا جرى فيها ؟.

لا شـــــــــــئ ! .

كـيف لا شئ ؟! من فـضلك ارجع إلى هذا الطريق ... توقـفت السيارة ... اشتد خوفي ... ارتجف كل جزء من جسدي الفتي نظرت إلى أمي و شقيقتي يبكين ! .

حتى أخي الكبير انفجر بكاؤه ... أشـرت إلى السـائق ثم إلى الطريق :

من فضلك ارجع إلى هذا الطريق .

دارت السيارة التي ابتلت مقاعدها بالدموع وتشبعت جدرانها بصوت البكاء المرير ...

هـــالـني مـــا رأيـــت :

لم يعد قرية ...لم تبق سوى أنقاض البيوت ...أسرة ... مقاعد محترقة هنا وهناك ... ثياب تحت أحجار البناء .. لعب أطفال محطمه ... صور تجمع عائلات تضحك وأطفال تلعب منثورة بين الأنقاض .. أنابيب غاز متفحمة .. برك دماء جافه ...المسجد لم يعد له أثر سوى مكانه الذي يعرفه الجميع ..هرولت بين الأنقاض ،أثار البيوت وأشجار الزيتون المحترقة ...لم أعرف بيتنا إلا من بقايا أسلاك كانت تحوط ملعب كبير بعده بقليل ...آخر الملعب لمحت يافطات بيضاء مكتوب عليها (لا اله إلا الله محمد رسول الله) .. اقتربت منها ... وجدتها علامات لقبور صغيرة حولها كتب مدرسة منثورة وصفحات من المصحف الشريف ...محمد سعيد ...حسام العلي ... ثائـــر الـــ...إنه أخي الصغير و حوله أصدقاء القرية بالمدرسة ... سجدت على القبر أعناقه ...شممت رائحة (ثائر) الذكية ... بكيت

بكاء أمي ...ناديته :

(ثائـــــــر) أيها الروح الطيبة و الوجه الجميل و اللسان العذب ...أنا أخوك ....أعرف أنك ما نسيتني ..قولي بربك الذى تصلى له و تحفظ قرآنه منذ ثلاث سنين من فعل بكم هذا ؟من قتلكم أيها الأبرياء الأطهار ؟!.

يد امتدت إلى كتفي مسحت عليّ و أجابتني .

- حصدهم طيران اليهود و هم يلعبون .

- اليهود و لماذا قريتنا ؟! .

- ردا على هجمات حزب الله على جنودهم و شمال إسرائيل وإجبارا لحكومة لبنان على القضاء على حزب الله.

- و ما ذنب الأبرياء .

- أجابني صديقي :

هكذا اليهود ... ألا تذكر ما فعلوا بمصر بعد عام ١٩٦٧ ؟! ألا تذكرمذبحة بحر البقر ...إنهم اليهود ......

- وجيش لبنان ؟! .

- نصف يقاتل من أجل السلطة و نصف يوالي إسرائيل

- و نحن؟! .

- ضحايا الفريقين .

- و الحل ؟! .

- أن ندافع عن أنفسنا

- و لكن ليس لنا جيش و سلاح

- و من قال لك ذلك ؟! جيشنا حزب الله و سلاحنا يأتينا

- انقطع دمعي ... قوه عظيمة غمرتني و أمي و شقيقتاي من حولي يبكين و أخي الكبير معه الطفل الصغير يجمعا بقايا المصاحف و كتب المدرسة .

■ وأين حزب الله ؟ .
تعال معي أدلك على الطريق ...... أنا منهم .

***

النكسة الثانية

جنود مجهولة غزت مدننا الواقعة على حدود العدو ....أنباء عن وصول طيران العدو إلى عمق أراضينا وإصابة أهداف كثيرة داخل مدننا الكبيرة ...محطات غربية و عربية تقول : إن خسارة المصريين فادحة ... التليفزيون .. إذاعة جمهورية مصر العربية من القاهرة .. الشرق الأوسط ... الشباب و الرياضة .. إذاعات مصر كلها تقول إن قواتنا الباسلة و شعبنا المناضل يتصدى للغزو البربرى المفاجئ الذى شنه العدو المؤيد من أمريكا و دول أوروبا ...

خالد .... صديقى المتدين كان فى بيتنا لحظة سماع الخبر الذى لم يكن يخطر على بال أحد ....

كيف يحدث ذلك و شعبنا خمسة و سبعون مليونا و جيشنا من أكبر جيوش الشرق الأوسط ؟! .

سمعنا قرعات شديدة على الباب ... البعض حسبها قرعات الموت التى سيقرعها جنود العدو على كل بيت ... من خلف الباب سمعنا أصوات جيران فزعه تعودنا عليها ... فتحت الباب و من خلفى أخى الصغير ابن الخمس عشرة سنة و أبى و أمى و شقيقتان إحداهما بالمرحلة الثانوية و الأخرى بالإبتدائية ... بعض السيدات أخذن يصرخن ...رجل من الجيران طيب صرخ ......

■ يا ليتها كانت حربا ... إنها غزو و هزيمة !!... رجل آخر من الجيران قال متعجبا :

■ يا خبر أسود ... و أين كان جهاز المخابرات ؟! .

رد رجل متقاعد من القوات المسلحة :

■ جهاز المخابرات أنشط و أفضل جهاز فى البلد ... و هكذا عهدناهم دائما ......

قاطعة رجل :
- إذن ...ماذا حدث؟! .
رد الرجل المتقاعد من القوات المسلحة :
حدث تماما ما حدث فى نكسة ٦٧ ... جهاز المخابرات أدى واجبه وأخطر القيادة بنوايا و ترتيبات العدو و لكن حدث ما حدث و كان ما كان ...و كانت النكسة ... و لم يعد الآن وقت للحديث عما حدث و كان ....نحن اليوم أمام نكسة أخرى !.
خالد ما زال فى صمته جالسا أمام التليفزيون يشاهد و يسمع لا يأبه بحوارات الندم ،فكل ما يقوله الناس عن الفساد و الفاسدين قصص قديمة و روايات معروفة للجميع ، و لكن لا يتحرك لتغير الكارثة أحد إلا قليل ضعاف التأثير ...
إحدى النساء العاقلات رددت مع أمى فى نفس واحد :
- دعونا من الكلام ...و قولوا لنا ماذا سنفعل الآن ؟! .
رد خالد :
قوات العدو على مسافة قريبة من مدينتنا و الآن قد صدرت أوامر وتوجيهات للمدن التى اجتاحها العدو بالمقاومة مع رجال الشرطة ... و لبقية المدن بالاستعداد للمقاومة و الرحيل فى اتجاه المدن الكبرى التى تحميها قواتنا التى تتأهب لرد هجوم العدو ..استثنى البيان رجال الشرطة ، و صدرت أوامر عسكرية بضرب الفارين منهم بالرصاص ...

الفرار :

خرج الجيران من بيتنا يتصارعون على الباب ..أحد الجيران من شدة إندافعه انكفأ على وجهه بشدة .... مد يده اليمنى لجار له ٠ من قوة ألمه ليساعده على النهوض فنظر إليه نظرة حقد قديم ثم تركه ومضى ..حينما نهض (المخبر) إياه على مضض أخذ يتوكأ على قدمه و هو يردد - كما اعتاد من قبل - :

(كده) (يا أولاد الكلب) تسبونى ! .
رد عليه أحد المارين :
- إنما (الكلب) أبوك .. إنك لم تساعد فى الخير يوما أحد !! .
خلفى ...وقف أبى و أخى الصغير و أمى و شقيقتاى يحملون ما استطاعوا من البيت ...سألتنى أمى و هى تبكى ..
- إلى أين يا بنى ؟! .
قلت لأمى :
سأحملكم إلى أقرب مدينه آمنة ثم أعود لقتال العدو ..
من إحدى الحقائب أخرج لى أبى رشاشا أمريكيا حديثا سلبه من أحد جنود إسرائيل القتلى فى حرب العاشر من رمضان ٧٣ آل على قائده أن يحتفظ به للذكرى فمنحه قائده إياه و كأنّ أبى يستشرف المستقبل .. اشترى كمية من الرصاص ليجامل صديقا له فى زواج ابنه بعد ليال و يسترجع معهم ذكريات الحرب المجيدة .
عند خروجنا من البيت إلى موقف الحافلات العامة التى تلقت الأمر بنقل المواطنين إلى المدن الكبرى وجدت شقيقتى المتزوجة تمسك بين يديها طفلها الذى لم يتجاوز عمره ثلاث سنين و على كتفها حقيبة تحملها بعناء ..حينما رأتنى ارتمت بين يدى و راحت "تبكى .. الطفل الصغير حينما رأى أمه تبكى راح يبكى ..اندفع إليه شقيقى الصغير و ضمه إليه..
نادانى خالد مستعجلا .
- لم يعد وقت .
فى الطريق إلى موقف الحافلات كانت أسرة خالد : والده و والدته وأخوه الكبير المريض و زوجة أخيه التى تحمل طفلا رضيعا فى انتظارنا ... آلاحوا إلينا من بعد أن نسرع ... فى الطريق إليهم كان بعض رجال الشرطة الذين نعرفهم يفرون من مركز الشرطة ... (ضابط متدين)

يعرفه الناس يمسك هاتفا لاسلكيا سمعته ينادى :

القوة المرابطة فى موقف الحافلات ... ممنوع ركوب أى عسكرى أو مخبر أو ضابط أو أمين شرطة حافلة من الحافلات أو سيارة إلى خارج المدينة ..من يخالف الأوامر يضرب بالرصاص .

مأمور المركز .. رئيس المباحث .. بعض الضباط .. بعض أمناء الشرط وقفوا ثابتين يحملون أسلحة آلية موجهه إلى أغلب المخبرين والخفر وصولات مكتب الفيش و موظفى السجل المدنى فى ساحة أمام مركز الشرطة و أمناء شرطة آخرون راحوا يقيدونهم فى جنازير !! .

والد خالد اندفع إلينا يحمل رشاشا آليا فى يد ، و فى يده الأخرى (راديو) يصرخ فى هستيريا ... بسرعة يا خالد ... نجح العدو فى إنزال عدد كبير من قواته على أطراف المدينة المجاورة لنا ...

سأله خالد :

و كيف عرفت يا أبى هذه الكارثة ؟! .

أجابه و هو يلوح بالراديو فى يده :

من هذا .. من هنا !! .

لم يكد خالد يمد يده إلى أبيه و يأخذ الرشاش من يده حتى سمعنا رصاصا ينطلق من كل مكان ...

لقد نجحت قوات العدو فى إنزال مجموعات منها على أطراف مدينتنا ..حول مركز الشرطة الذى مررنا عليه منذ قليل و مجلس المدينة المجاور له و المستشفى القريب منه دارت معارك ضاريه بين قوات العدو من جهة و رجال شرطة و مدنيين من جهة أخرى ..كان أبطالها من المدنيين !! .

التفت مع خالد نحمى ظهور الفارين .... شقيقتى المتزوجة أعياها الجرى فكادت تسقط على الأرض .. حملتها بيسراى و هى تبكى وبيمينى الرشاش ألتفت كل خطوة و أخرى أتربص أحدا من

جنود العدو ..خالد حمل طفلها الصغير وراح - مثلى - يلتفت كل خطوة و خطوة يتربص أحداً من جنود العدو .. رصاصة .. لست أدرى من أن جاءت .. أصابت قدم سيدة كانت تفر معنا .. أطلقنا وابلا من الرصاص فى الهواء خلفنا .. سقطت السيدة تصرخ و مدت إلى يدها ...

عمر ..أرجوك لا تتركنى أموت ...أنا مثل أمك يابنى ...

فجأة ظهر جمع من قوات العدو ..لجأنا إلى مدخل بيت تصادف وصولنا أمامه هذه اللحظة ...لجأت شقيقتى المتزوجة إلى ظهرى .. أمسك ابن شقيقى الصغير ببنطلون خالد و هو يصرخ ... أبى و أمى وشقيقتاى الأخريان وشقيقى الصغير و أسرة خالد وزوجة شقيقه المريض التى تحمل بين ذراعيها طفلا رضيعا كانوا قد لاذوا بمدخل بيت أمامنا ، وجهنا إلى هذه المجموعة - من قوات العدو - نيراننا فسقطوا صرعى ..

اندفع الجميع بعد أن نادينا عليهم أن يكملوا المشوار إلى موقف الحافلات و السيارات ..زوجة شقيق خالد عثرت و هى تجرى سقط طفلها الرضيع - و هو يصرخ - من يديها المرتعدتين ... صرخت ثم انكفأت تحمل الطفل فإذا بأعيرة نارية انطلقت من جديد .... لم ندرى مصدرها و لا مرساها ..مدت يديها إلى الطفل و عينيها تنظران إلى الشارع من خلفنا ، و من حولها أمى و والدة خالد و بقية أفراد الأسرتين .. رفعت الطفل إلى صدرها ثم استكملت جريها وسط الركب الفار ....

من حولنا يندفع شباب ذووا أجساد فتية تتدلى من رقابهم سلاسل ذهبية و فى أيديهم (انسيالات) ينظرون وراءهم بعيون زائغة يملؤها الرعب ... بنات طليقات الشعر مكشوفات الصدر يرتدين البناطيل ، يتبعن هؤلاء الشباب .. إحداهن ذكرت أحدهم بأسرته فقال لها .

- أنا و من بعدى الطوفان ! .

- أخرى منهن استغاثت بآخر منهم يجرى أمامها حتى لا يتركها ويفر وحده مع بقية (الشلة) فقال لها و طلقات الرصاص تنطلق هنا وهناك بالشوارع المجاورة

- آسف .

علت صرختها

لم أظن يوما ما أنك (ندل) بهذه الصورة ....

أخرى محجبة كانت تجرى إلى جوارها مدت إليها يدها لتصحبها على الطريق إلى محطة الحافلات ....

ماذا كنت تنتظرين يا أختى من مثل هذا الذى لا يريدك إلا لهواه و شهوته . . . أنا معك لا تخافى ...

وسط الصراخ و البكاء و الأنين وصوت الرصاص بالشوارع المجاورة وصلنا محطة الحافلات و السيارات ...هناك وجدنا جثثا لمخبرين و موظفين و رجال شرطة و أمناء شرطة و رئيس مجلس المدينة ورؤساء قرى ملقاة على الأرض أطلق عليهم رجال المخابرات الرصاص حينما أرادوا الفرار مع الفارين رغم التعليمات التى صدرت بالثبات والصمود أمام العدو الذى اجتاح البلاد...

رجال القضاء الشرفاء رغم أن التعليمات لم تشملهم وقفوا يمدون يد العون للجماهير الفارة من قوات العدو .. و يصدرون الأحكام الفورية فى ساحة الواقع ضد الفارين من رجال الشرطة و الموظفين والأثرياء الذين راحوا يشحنون أموالهم بسياراتهم الخاصة استعدادا لتهريبها خارج البلاد ...

مخلصون لله و الوطن بنوا مسجدا كبيرا و حضانة إسلامية ومدرسة ابتدائية و عيادة بجوار محطة الحافلات وقفوا حول مبناهم يذودون عنه بأسلحة صغيرة ...أمام مبناهم وقف شباب منهم يذكرون القادرين

على الجـــهـــاد ...و آخـرون راحـوا يسـلمـون الأطفـال إلى ذويـهم ... وآخـرون راحـوا يعـينون كـبـار السن و الأرامل و الأيتـام على الفـرار ... وآخرون راحوا يطلبون من القضاة حكما باستلام السلاح الحديث ...

إلى إحـدى الحـافـلات .... صعدت أمى و ام خـالـد و شـقـيـقـتـاى الصـغيـرتان و شـقيـقـتى المتزوجة و طـفلهـا الصـغيـر وزوجـه شقيق خـالد المريض تحمل الرضيع الذى كان قد فارق الحياة ! ثم شقيقى الصغير ثم الأبوان .. من نوافذ الحافلة راحوا يلوحون لنا بأيديهم و عيونهم تهطل دمـوعـا ... مع خالد عدت أحمل السـلاح لقتـال العدو حتى النصر أو الشهادة.....

إذاعات العالم ...تليفزيونات العالم ....

مـازالـت الحرب دائرة بين قـوات (الفـقـر و الفسـاد والرشـوة) و مـصـر ومـازالـت خسـائر المصـريين فـادحـة و رغـم إمـدادات الولايات المتـحـدة الأمـريكـية للـمصريين إلا أن إمـدادات الأمـريكـان لمصر أدت إلى مزيد من الخسائر و الضحايا !.

الدول الأوروبية كـدأبها تناور عن بعد و تدعى أنها تمد يد المساعدة ... و لكن مـدهـا الفـتـات ... إيطاليـا بلد التسـامح المزعوم تدعى أن الإسـلام هو سـبب التـخلف و الجـهل و الصـراع و الخـراب و الدمـار والإسـلام هو الذى مـدهـم بـالعلم وأرشـدهـم إلى الحضـارة و علم الدنيـا حب الخير و السـلام و أعتى الحروب التى أبادت عشرات الملايين قـادها مـجـرمـون تحت راية الصليب فـمن مـنا داعى الخـيـر و السـلام و من منا داعى الشر و الدمار ؟!.

رئاسة الجمهورية و جهاز المخابرات و جهاز أمن الدولة ...يتـابعـون الحرب لحظة بلحظة و تعليـمات القيادة الضرب بيـد من حديد على كل فاسد يمد العون للعدو و يساند قوات الفقر و الفساد و الرشوة .

كلمة السيد الرئيس إلى الشعب ...

إننا نخوض حربا شرسة ضد العدو الذى اقتحم البلاد و مازالت قواتنا الباسلة ترد هجمات العدو بشجاعة المخلصين من رجالنا و أبنائنا ....أما الخونة الذين يساعدون قوات العدو ويعيشون فى المجتمع فسادا دفعاً لأمتنا إلى الوراء فسنبترهم اليوم أو غدا ... ﴿و **لينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾ .

***

دموع المطارات

حب نادر جمع بين أحمد الشاب المصرى خريج الجامعة ..المثقف الذى يتكلم الإنجليزية بطلاقة و (ليندا) ابنة صاحب المصنع الذى يعمل به جنوب (لندن) عاصمة الطب ..حينما تسلل الحب إلى قلبه حاول مرارا أن يدفعه عنه ..و لكنه فشل أمام هذا السحر الفاتن و اندفاع (ليندا) إليه اندفاعا يحمل نفس المشاعر بقوتها و سيطرتها ...

بعد علاقة نظيفة ظلت خمسة أعوام قرر (أحمد) العودة إلى مصر (بلا رجعة) ... فليندا رغم أنها مصرية ولدت فى إنجلترا من أبوين مصرين يحملان الجنسية الإنجليزية منذ سنين طويلة إلا أنها لا تتكلم اللغة العربية إلا كلمات أخذتها عن أبويها اللذين غلبت (اللكنة) الإنجليزية على لسانهما العربى كما أنها لا تعرف عن الإسلام سوى الشهادتين و الاتصال على المركز الإسلامى كل رمضان لتعرف بدايته مرة و أخرى لاستكشاف آخره .. وقد نشأت وتعودت على المجتمع الإنجليزى المرفه ذى الخدمات الراقية والمستوى الاقتصادى الراقى ..كما أن اعتراض الأسرة على ارتباطهما عقبة أخرى ... وان انتصر الحب على فارق اللغة و التنشئة الاجتماعية ثم عقبة اعتراض الأسرة فهل ينتصر الحب على الفرق الهائل بين الحياة المادية الراقية فى إنجلترا و الحياة المادية المتواضعة فى مصر ؟! .

نفس ما دار فى عقل (أحمد) دار فى عقل (ليندا) .. فأحمد نقل لها الصورة على حقيقتها إلا تطوراً محدوداً نشرته وسائل الإعلام المصرى بطول الأرض وعرضها حسن الصورة فى عينها شيئاً ما ...

فى مطار (لندن) .

وقف صاحب المصنع وزوجته يوّدعان (أحمد) .. وإلى جوارهما (ليندا) يثقلها حب سنين وألم فراق منتظر ..

أذاع المطار أن الرحلة المتجهة إلى القاهرة ستتحرك بعد ثلاثين دقيقة ..بعد أن صافح (أحمد) مديره وزوجته مد يده إلى (ليندا) فراحت (ليندا) تمد إليه يدها كأنها لا تريد .. لم تستطع أن ترفعها إليه .. انهال دمعها كما ينهال الجليد حينما تغلبه شمس الربيع .. ارتمت فى حضنه وضمته بين ذراعيها لا تريد أن تتركه ..كان أول عناق لهما ..شعرت بين ذراعيه بقلبه يكاد يقفز من صدره .. راح يدفعها برفق الحبيب و خجل الطهور .. انهارت فى بكاء طويل .. أخرج منديلا وراح يجفف لها دمعها .. أمسكت بيده وقبلتها .. أخذها منها .. ازداد بكاؤها .. مد هو يده إليها و أخذ بيدها ينظر فى عينيها وقال لها :

(ليندا) كونى شجاعة .

ثم أدار وجهه عنها ومضى ..مع أول خطوة عنها نضبت شجاعته وخار عزمه يرده حنين السنين إلى النظر إليها .. و لكنه تجاسر .. مضى تأخذه عيناه إلى النظر إليها مع كل خطوة .. قبل أن يصل إلى الحاجز الإلكترونى نادت عليه ..وقف أمام الحاجز لا يدرى .. أيمر أم يرجع .. غلبه أخيرا الحب و ألفة السنين .. رجع إليها يملكه الحنين ..اندفعت إليه ..جرت نحوه .. أمسك بيديها .. سعى إليه صاحب المصنع وزوجته ..على وجه المدير ابتسامة الفرحة .. قالت الزوجة :

لابد أنه قرر البقاء ! .

رد عليها زوجها :

لا أظن ..هذا مصرى عنيد ! .

قالت :

ولكنه عاطفى .ولعلها خطوة حتى يصبح يوما ما كما أصبح غيره

وقف أمامهما و (ليندا) إلى جانبه ...سألاه :

ماذا حدث ؟ .

أجابهما :

لا شئ ..سأتزوج (ليندا) و أستقر بها فى مصر .

فى اليوم التالى عاد (أحمد) و (ليندا) إلى مصر .

فى مطار القاهرة ..

زحام غير مشهود لليندا من قبل .. موظفو الجمارك على وجوههم غضب .. ألسنتهم حداد تقذف ناراً على القادمين من بلاد موظفو جماركها باسمو الوجوه عذاب الألسنة .. فى جمرك المطار فتحوا الحقائب بهمجية .. بعثروا ما فيها بحقد .. فرضوا رسوما على كل شئ حتى لعب الأطفال .. حينما تكلم (أحمد) معهم هددوه بأمن الدولة ...كان أشدهم تطاولاً على الجمهور موظف متواضع الثياب ، على شفتيه أثر الدخان ، وتحت عينيه أثر الإدمان ...كانت (ليندا) تنظر إليه باحتقار الإنجليزيات ، وكأنها تقول !.

كيف يعمل مثل هذا الموظف فى جمرك دولة !!!.

كلما مررنا على باب للخروج وقفت لنا وجوه غير سمحة تخيرنا بين أمرين : إما أن ندفع لهم (حلاوة الوصول !) . . نعم بهذا اللفظ .. أو يفتشونا كما فتشنا من قبل ! .

حينما خرجنا من المطار تنفست (ليندا) الصعداء وصرخت مبتهجة بالقاهرة من خارج المطار .. تحلم برؤية بلد شيد حضارة منذ سبعة آلاف سنة .. بعد سبعة آلاف سنه ..

على طريق المطار ثم على كورنيش النيل وفى الحديقة المجاورة لجامعة القاهرة رأينا شبابا وفتيات يتبادلون القبل و الأحضان على مرأى الناس .. نظرت إلى (ليندا) لا أستطيع أن أقول لها :

أسف .. إنى كذاب .

لقد تحدثت معها فى لندن كثيرا، عن ديننا و قيمنا ونظافتنا وطهارتنا و أزهرنا وتجريم القانون لمثل هذه الأوضاع ، و إن كان فى مصر

فساد فهو فساد محدود يقترفه بعض الناس ..فإذا بالواقع فى مثل هذه الأماكن ثم إعلانات الشوارع عن الأفلام و المسرحيات تكذبنى .

من القاهرة أخذنا سيارة أجرة إلى مدينتنا الصغيرة التى تبعد عن القاهرة أكثر من مائة كيلو متر بعد شجار بين السائقين على من يحملنا إلى وجهتنا ..فى الطريق لم يكن السائق أبدا على شيء من صفات السائق الإنجليزى أو مهاراته وطبعا مظهره .. راح يسب الآخرين طول الطريق يداوى أخطاءه التى يكفى أحدها لإنقلاب السيارة أو اصطدامها فى لحظة أو أخرى ..الرقابة على الطريق صفر .. أغلب سائقى سيارات الأجرة و النقل يعبثون براحة الناس و أعمارهم .. وكثيرون منهم يقود سيارات لا ندرى كيف مرت من رقابة الكشف بمقار المرور ثم كيف تركتها الشرطة تسير بين الناس ...

فى المدينة الصغيرة ..

وبعد عناء الطريق و السيارة الخالية من التكييف و السائق الأردأ خلقا وصلنا إلى المدينة الصغيرة .. أكثر الشوارع التى يحفرونها عاما بعد عام .. مرة بحجة الصرف الصحى وثانية بحجة التليفونات و ثالثة بحجة الكهرباء .. مازالت كما هى غير مرصوفة بحجة أنها فى الخطة كلما رصفت مرة عاودوا حفرها مرة أخرى بإحدى الحجج الثلاث : المجارى ..التليفونات .. الكهرباء .. رئيس مجلس المدينة وعد أنه لن يكون كسلفه اللص المرتشى الكذاب ثم إذابه نسخة منه ...قالت لى (ليندا) .

يبدوا أننا جئنا فى توقيت غير مناسب ..

سألتها : لما ؟ .

قالت : لأنهم بدءوا الحفر فى فترة قدومنا

قلت فى نفسى : أه .. لو عرفت أن الحفر منذ خمس سنوات !! .

أمام بيتنا الذى شيدناه على الطراز الإنجليزى بين عدة بيوت جديدة

للجيران هبط الجميع يستقبلوننا بحفاوة و سعادة ..الوالد والوالدة والأخوة والأخوات .. أسئلة كثيرة سألوها عن (ليندا) المصرية الإنجليزية الجميلة التى أتت معى .. حكيت لهم قصتنا .. الجميع رجحوا ألا تبقى فى مصر أكثر من عام .. قلت لهم :

- لا ..

إحدى شقيقاتى آزرتنى :

- ولما لا ...الحب يصنع المعجزات ..

توافد الجيران علينا هذه الليلة حتى الواحدة ..لم يصبر بعضهم أن يبقى إلى الصباح عندما سمع عن الإنجليزية المصرية الجميلة التى أتت معى ..

صعدنا إلى دور علوى ..حيث جهزت شقة كبيوت الإنجليز ..مع الصباح استيقظنا على صرخات بعض السيدات ..تركتها فى حجرة النوم وهبطت مسرعا أستكشف سبب الصرخات ..على سلم البيت قابلنى شقيقى المهندس بدولة عربية ..ردنى عن الخروج ..سألته :

- لم ؟ .

قال : لأن المتشاجرين كل يوم على هذا الحال ..إن لم يكن كل ساعة .

- سألته : لم ؟.

قال : مرة بسبب شجار الأولاد وثانية بسبب الزبالة ، وثالثة بسبب معاكسة أحد الشباب لإحدى الفتيات ، ورابعة بسبب كيد وحقد النساء .. إحداهن تتهم جارتها أنها تصنع لها السحر عند شيطان من شياطين الإنس للتفريق بينها وبين زوجها، أو لتفسد على أبنتها خطبتها، أو على ابنها تفوقه الدراسى ... قصص و شباك ينصبها الشيطان هنا وهناك وشياطين الإنس من بعده ..

سألته : والشرطة ؟ .

قـــال : لا يأتون لمشكلة إلا بإيعاز من أحد الطرفين له قدم فى الداخلية .. قريب أو صديق .

قلت له : ولكن الوزير الجديد؟ بأمر الرئيس ؟ نشط لقطع هذا التخلف وشدد على سرعة الحضور الأمنى لأماكن الشجار و البلطجة كما قرأنا فى بعض الصحف المصرية التى تصل (لندن) ..

قال : الوزير الجديد (شدد) ولكن كثيرين يضربون بكلام وزيرهم عرض الحائط .. تماما كما شدد الرئيس نفسه لضمان حرية ونزاهة الانتخابات ، وفى الجولة الأولى قتلت الشرطة مواطنا فى محافظة المنوفية وحالت بين المواطنين و الإدلاء بأصواتهم فى دوائر كثيرة على مستوى الجمهورية نصراً لأحد المرشحين على الأخر .

قلت : و الحل ؟ .

أجاب : تربية الضمير فى هؤلاء، ثم الرقابة ، و المتابعة ، و العقاب للخارجين على القانون دون نفاق أو خوف .

صعدت إلى (ليندا) سألتنى عن السبب ..كذبت عليها ..

- طفل .. انسكب عليه حليب الصباح !! .

سألتنى أن أدور بها أولا هذه المدينة الصغيرة التى نسكنها ثم بعدها القاهرة و الأقصر و أسوان ، فأردت أن أبدأ بالمدن الأخيرة أولا لعلها تنسى يوم الوصول وفجعة الصباح و تشفع المدنية المحدودة فى المدن الكبرى و آثار الحضارة القديمة عندها لما ستراه من بعد مما لا يسرها .

قالت : من قبل زرت هذه المدن ورأيت الحضارة الهائلة التى بنيناها منذ سبعة آلاف عام ولكنى أريد أن اعرف العالم الذى سأعيش بين أهله .

قلت - فى نفسى - : حقا إن الحب يصنع المعجزات ..إنها تريد الاندماج فى المجتمع و الناس من أول يوم .

مشينا فى شوارع المدينة .. بعضها نظيف .. ولكن أغلبها يعج بالزبالة على اختلاف صورها .. أوراق .. زجاجات .. علب صفيح .. دواجن ميتة ومتعفنة فى بعض الأركان ..ذباب يحوم حولها .. أكوام رمل وزلط و تراب أمام البيوت .. نساء جالسات على عتبات البيوت وأطفال عراة الأدبار يزحفون على بطونهم أمام أمهاتهم .. أطفال آخرون أكبر سناً يتشاجرون بشراسة الكبار .. أباء و أمهات و عمات وخالات يندفعون نحو المتشابكين .. صراخ وعويل و سباب وشتم .. وقذف طوب وزجاجات ..

فى شارع آخر .. رأينا أطفال يلعبون الكرة .. سيارات تمر من بينهم بسرعة مجنونة .. و الصغار لا يخافون شيئاً !! ..

سألتنى (ليندا) : أليس فى المدينة ملاعب ؟!.

قلت لها : ملعب واحد

قالت : و هل يكفى ملعب واحد لكل هذه الجموع ؟! .

قلت : بالطبع ..لا يكفى

قالت : ولماذا لا يفتحون المدارس ليلعب الأطفال فى ملاعبها ؟.

قلت لها : إن المدارس نفسها ليس بها ملاعب !! .

قالت : مدارس .. بدون ملاعب !! كيف يطيق الأطفال مثل هذه الأوضاع .. وهل إذا أنجبنا ولداً سيكون مآله مثل هؤلاء الأطفال ؟!.

قلت لها : لا .. سنلحقه بمدرسة خاصة بمدينة كبيرة !!.

أمام مركز الشرطة تشبثت بى (ليندا) وهى ترتجف حينما شاهدنا جمعاً من البيادات الميرى فئة شريط وشريطين يركلون بعض المقادين إلى داخل المركز ونقيب شرطة وقف كالقط يحكى انتفاخا صولة الأسد وقد وضع يده فى جيبه ..

سألتنى :

لماذا يضربون هؤلاء المقادين هكذا ؟.

قلت لها :
وماذا تنتظرين من الشرطة حينما تتعامل مع لص سرق بيت أسرة أو راتب موظف أو مجرم اغتصب طفلة أو فتاة أو ضايقها هنا أو هناك .
قـالـت : لا تثريب عليهم إن فعلوا ذلك مع المجرمين ، ولكن هل يساوون بيننا مثلا وبين هؤلاء ؟!.
قلت لهـا : المفروض أن تفرق الشرطة بين سوى ساقته ظروفه إلى مشكلة ما ومجرم اعتاد الإجرام أو سفيه موتور اعتاد مشاكله الناس ،وهذه قاعدة فى معاملة الشرطة على مستوى العالم كله للجمهور ، ولكن الهوى والاستلطاف و النفور قاعدة أكثر رجال الشرطة فى معاملة الناس عندنا ..علم الوزير أم لم يعلم ..

فى السوق ..

رأت ما يأكل الناس على عربات قذرة وكثيرين يفترشون الأرض بما يبيعون ..ضجيج البائعين للملابس ملك السوق وخرق آذان المتزاحمين كالجراد لا يعبأ أحدهم بالآخر .. الجميع حولنا يتزاحمون .. تكاد عيون بعضهم تأكل وجوه الآخرين .. لا اعتذار عن ركله قدم أو ضربة ذراع كأننا فى سوق من أسواق الجاهلية الأولى .. لم تطق (ليندا) البقاء والتنزه وسط هذا الزحام وهذه الضوضاء وهذه المناظر التى تثير القيء فى الإنسان السليم ... أخذتنى من يدى إلى الجهة التى جئنا منها تملكها رعشة وقد علا وجهها الإنجليزى الأحمر اصفرار المريض .

فى الطريق إلى البيت سرها منظر التلميذات بالزى المدرسى الأزرق وهن يسرن بالشارع كالسيل لا ينقطع .. وما لبث السرور حتى هاجت التلميذات كالشياة المذعورة وأخذن يهرولن هنا و هناك ، وتلاميذ يتناوبون الكر و الفر بالمشارط والجنازير .. نأيت بها عن مكان الشجار .. سألت أحد التلاميذ الذين فروا فى سلام ليس لهم فى

المعركة باع ..

ما الذى حدث ؟.

قال :

إحدى البنات هى سبب هذه الحرب .. يتصارع على حبها اثنان ، فجمع كل جمعه ثم أتى .

قلت : والبنت ؟ .

قال : (صايعة) تبيع الهوى لمن شاء أن يشترى .

سألتنى (ليندا) :

أين الشرطة ؟.

قلت لها ساخراً :

دائما تأتى بعد انتهاء المصائب لتجمع المصابين وتكتب المحاضر ..

قالت : وإن مات أحد هؤلاء ولم يعرف أحد قاتلة ؟ .

قلت لها : يأتون ببرئ ليلبس ثوب الفاعل المجهول .. هذا إن كان القتيل ابن رجل مهم ، فإن كان القتيل ابن رجل مغمور قيدت القضية ضد مجهول !! .

فى البيت ...

سألتنى (ليندا) وهى تتنفس الصعداء :

وهل كل الأيام هنا تمر كما شهدنا اليوم ؟

أجبتها باختصار أدارى سوأة المجتمع الذى نعيش فيه :

لا ...

ثم استطردتُ حتى لا يفضح الغد كذبى ..

ولكن كثيرا ما تتكرر هذه الأيام

قالت :

ولكن الفضائيات المصرية وصحف ومجلات الحكومة قالت إن مصر تطورت و الرخاء عم البلاد ..

قلت لها :

نعم حدث تطور ولكنه تطور محدود ضخمه الإعلام على اختلاف قنواته .. حتى تصور بعض الناس أن مصر كلها كشرم الشيخ وبقية المدن السياحية .. و الواقع أن مصر تعج بالعشوائيات فى كل مكان ، وأغلب مدنها وقراها تعانى التخلف و الحرمان ..

قالت لى بصراحة الإنجليز :

إذن هم كذابون !.

فى الصباح ..

أصرت (ليندا) أن ترى محطة القطار ومحطات الأتوبيس وإحدى المدارس الابتدائية ..كأنها تكتم شيئا ما !! .

أخذتها إلى مدرسة ابتدائية ..هناك راحت تتعجب كيف يدرس الأطفال فى مثل هذه الفصول الكئيبة المكدسة بالتلاميذ و التلميذات على هذه الكراسى و (التختات) وهذه الرطوبة التى تحطم عظام الصغار ؟!..

حينما رأت محطة القطار وقفت مذهولة من الزحام والعراك وصراخ تلميذات المدارس ..كيف يركب بشر هذه القطارات المفتوحة الأبواب .. المحطمة الشبابيك فى برد الصباح أو هجير الظهيرة .. حينما اتخذنا (أتوبيس) داخل المدينة وسيلة لنا عند عودتنا ازداد وجهها اصفراراً .. ولكنها لم تتكلم و لم تعلق كما دأبت كلما رأت شيئاً تكرهه ...

فى المساء أسرت إلىّ أنها رأت شاباً مرة و عجوزا مرة أخرى يحتكان ببعض النساء و التلميذات (فى الأتوبيس)!! .

هذه الليلة ...

خلدت (ليندا) إلى نوم عميق .

فى الصباح ...

استيقظت (ليندا) من نومها على غير عادتها خاملة كئيبة تشكى

آلاماً فى جسدها و صداعا فى رأسها ..تناولت (اسبريناً) مرتين ثم خلدت إلى النوم من جديد دون إفطار ثم مكثت حتى الرابعة عصراً نائمة ثم استيقظت تشتكى ألما و صداعا و إرهاقا و كوابيسا تراها فى نومها .. أخذتها إلى طبيبة نصحتنى أن اذهب بها إلى طبيبة أخرى .. عند الطبيبة الثانية بعد فحص طويل و أسئلة كثيرة تطرقت إلى الناحية الخاصة فى علاقتنا منذ ما كنا فى إنجلترا .. قالت لى .. (ليندا) لا تعانى مرضا عضويا و لكنها تعانى من : (اكتئاب حاد) .

(سألتها : والحل يا دكتورة) ؟ .

أجابت : الحل يا أستاذ (أحمد) هو العودة إلى إنجلترا ...

سألتها ؟ و قلبى ينبض بشدة :

العودة إلى انجلترا ؟! . هل من بديل؟.

قالت :

البديل .. مستحيل ..

قاطعتها :

وما هو ؟! .

قالت : أن تجعل لها من مصر إنجلترا أخرى !! .

قلت لها أتشبث ببقايا أمل :

-و العقاقير يا (دكتورة) .. ألا تجدى شيئا ؟! .

قالت ..

العقاقير ليست سوى مسكن و منوم لن يأتى بجديد..و لابد من قطع منبع المرض ..و منبع المرض ..صراع فى قلب (ليندا) و عقلها بين حبك و البقاء فى إنجلترا ثم جاء الواقع فى مصر ليضرم الصراع الذى يشتعل داخلها ، و اشتد الصراع حتى انهارت دون أن تدرى واستسلمت للاكتئاب .. و مازال الصراع يدور داخلها .. وأظنه سينتهى بانتصار حبها لرفاهية و رخاء إنجلترا على حبها لك إذا بقيت

مصراً على البقاء فى مصر .. فهى غير مهيأة منذ صغرها لتحمل أوضاع مجتمع كمجتمعنا .. أوضاع أشبه ما تكون بالحلم المفزع .. فقر شائع فى كثيرين .. زحام قابض على كل مكان دون تنظيم .. خدمات عامة .. طرق .. مواصلات .. مدارس .. مستشفيات .. أغلبها تحت الصفر بكثير ..زد على كل هذا التردى السلوكى البعيد ، و انتشار الجريمة و ذيوع المشاكل حتى بين الأهل والأقارب .. إن (ليندا) كانت تعتقد أن مصر كلها كما ترى فى إعلانات التليفزيون ودعاية السياحة ثم إذا بالإعلانات و الدعاية و تضخيم وسائل الإعلام الحكومية لأعمال ما لا تمثل أغلب مدن مصر و كل قراها ..

كررت على الطبيبة بعد أن سكتت :

و الحل يا (دكتورة)؟ .

أجابت :

لا ثانى له ..حل واحد ..هو العودة إلى إنجلترا .. ولك أن تختار (أنت) بين بقائك فى مصر و بين (ليندا) .

فى البيت ..

أمسكت (ليندا) عن الخروج حتى لا ترى ما رأت من قبل خارج البيت ..

مكثت (أنا) ثلاثة أيام أفكر كيف أبدأ الحديث عن اضطرارى البقاء فى مصر مهما كان الفرق بين مصر و إنجلترا .. فأنا محب لمصر رغم تنكرها لنا و تنكيلها بنا ، فمصر لم تتنكر للغرباء الذين جاءوا يلذون بها ، و لم تنكل بأحدهم ، فما بالك بأبنائها .. و نحن أبناؤها ، إن الذى يتنكر لنا و ينكل بنا هم اقطاعيوا ولصوص هذا البلد و أصحاب الضمائر الفاسدة فى وزاراته و هيئاته و مؤسساته وإداراته ..

كانت أيام صمت ..مكثت ساعات طويلة أستجمع الشجاعة

لمصارحتها حتى ما كدت أبدأها الحديث حتى بدأتنى:
أحمد ..أحمد ..أريد أن ..أعودَ إلى إنجلترا .
قلت لها : و أنا يا (ليندا) .
قالت : يمكنك الرجوع معى ..
فى هذه اللحظة خرج علينا صوت الهاتف قادم من إنجلترا ..كانت والدة (ليندا)..أجابتها (ليندا) .
- ماما .. أنا بخير ، و لكنى قررت الرجوع ..حقا ما قلت لى ..إننى لا أدرى كيف يعيش البشر هنا !! .
صمتت تسمع والدتها ..ثم قالت ..
نعم لقد فكرت جيداً .و هذا قرارى الأخير ..
نظرت إليها يقتلنى الحزن .. ثم استجمعت شجاعتى :
■ و أنا يا (ليندا) قررت البقاء فى مصر ..
انهارت تبكى ..عانقتنى ..
■ أحمد أنا آسفة .. لا أستطيع البقاء ..و مازالت أمامنا شهور وربما سنين للتفكير .. فأنا أحبك .. و لكنى سأعود..
نظرت إليها يقتلنى الحزن ..لم أستطع الكلام ..شعرت ببكاء جارف يتسلل إلىّ .. تمالكت نفسى حتى لا ترانى أبكى ..
رحلة من الدموع بدأت منذ ما أخذت تجمع حقيبتها .
الأسرة كلها .. أبى .. أمى .. شقيقتى الصغيرة .. أخواتى البنات .. أطفالهن وقفوا يودعونها بنظرات تشع حزنا و عيون تتسرب منها دموع خجلى ..حتى بعض الصغار بكوا كأنهم يعرفون (ليندا) منذ سنين ..

فى المطار ..

لم تنته رحلة الدموع ..إنهارت كما انهارت يوم أن أبلغتها أنى راجع إلى مصر و ربما لا أعود إلى إنجلترا ..و لكنها مضت إلى البوابة

الإلكترونية و عبرتها تلوح بيدها الناصعة ثم اجتازتها و ما زالت رحلة الدموع مستمرة ..حينما توارت عن عيني انتحيت جانبا في مطار القاهرة و انهرت أبكي و لبكائي نشيج

ـ كـــده يا مصـــــر.

***

سيدة القلوب

(مـــدام) سعاد سيدة عصبية المزاج ، جميلة ، كما يراها ، من تعجبهم ، بيضاء الوجه ،واسعة العينين ، بدينة الجسد ، وإن كانت فيما بعد صفر المزايا .. تزوجت منذ سنوات أحد الذين تصارعوا على قلبها بضع سنين ، وهى بين النيران تشعل هذا وذاك ..تجاوز لها الفارس الذى اعتلى حصونها عن القصص القديمة ...أو همته أنه الحب الحقيقى فى حياتها أما القصص الأخرى ، فأضغاث أحلام ، توهمها الآخرون الذين افتروا عليها ، ونسجوا حولها الأكاذيب .. صدقها وكذب شهودا من أهلها ، وصديقات لها حملن له الأسرار .. أعماه عشق الصبا وظن الأخبار حقدا من الرفيقات ، وحسدا من عند الشباب ..

فى الشقة التى اتخذها لها بعيدا عن أهله ، كما اشترط عليه أهلها، عاش أحلى سنينه السمان ...

خابت كل التوقعات بفشل الحياة ، بين (سعاد) (وشريف) هتفت على كل الحاقدات .

- أنا أعيش أسعد حياة ..

هو لم يمل مدحها عند الأهل والأصدقاء .. لعله يدفع عن نفسه الوساوس التى تتسلل إليه حينا بعد حين ، كلما تذكر قصصها القديمة ، أو سمعها تلميحا هنا أو هناك ..

أنجبا طفلة بلغت ثلاث سنوات أطلقت عليها (سعاد) الاسم الذى أرادت .

من فرط عشقه أطلق لها عنان الحياة ، فقادته ، فأذعن لكل طلباتها ، إلا السيارة ، وتغيير الشقة من ثلاث حجرات وصالة ، إلى

خمس وصالتين ، أو (فيلا) ، فأشارت عليه أن يسافر بضع سنين كما سافر أقران لهما وعادوا غانمين..

ذكره شاب متدين بنعم كثيرة يرفل فيها .. البيت .. والشباب من غير بيوت ..والزوجة ..والشباب فى جحيم الوحدة .. الوظيفة .. والشباب فى عذاب البطالة ..

ولكن طلب المزيد من أجل إرضاء الزوجة أصمه عن نصائحه وأعماه عن كل نعمة ...

وفشلت كل محاولات السفر

طاردته (سعاد) ذهابا وإيجابا ..

عكر السفر من أجل المزيد صفو الحياة ..

بدأت (سعاد) تتذمر ، وتشكو لهذه وتلك ، وهذا وذاك من رتابة الحياة ، وعجز المرتب عن نفقات العيش لولا ما يأتيهم أسبوعا بعد أسبوع من بيت والده ...إحدى العاقلات نصحتها أن تبحث عن وظيفة تشد بها من أزر زوجها خيراً من اضطهاده ، وأن تعيش واقع الحياة بعيدا عن عبث الأفلام والمسلسلات ...غضبت فى وجهها .. ذكرتها الصديقة فى لحظة غضب ، أنها لم تكن مخلصة لأبيها الذى نسجت من خلفه ، قصص حب مع كثيرين لاحوا لها فى الحى ثم الجامعة من أجل قبلات وأحضان وأوضاع أخرى! مع اللاهثين وراء الجنس ، بشياب الحب! فكيف تكون مخلصة لزوج صمّ أذنيه عن تاريخها معه ومع سواه ...سبتها وذكرتها بنفس التاريخ مع آخرين .

ألم تكونى صديقتى يوما ما ! .

كنت .. ولكنى استيقظت من غفلة الشباب وسكرة المراهقة ، وأوهام المسلسلات والأفلام التى صورت لنا الرذيلة والانحراف سعادة الحياة ! .

انطلقت الأفواه تحمل أنباء (سعاد) و (شريف) عبر الهواتف

والجلسات ....

العشاق القدامى هتفوا عليها من أرقام مجهولة ، لعلهم يظفرون بها سيدة ، كما ظفروا بها عذراء...سبت الهاتفين سب الشوارع والأسواق ..الزميلات الحاقدات كذلك هتفن عليها من أرقام مجهولة يعيرنها بالماضى ، ويباركن لها مشروع الطلاق المنتظر، بحثا عن الثراء الذى طالما دفعها إلى نصب شباكها حول أبناء الأغنياء فى الجامعة .. ردت على إحداهن بأنها تعيرها بما فيها، وهكذا الناس يعيرون الأبرياء بما فيهم .

أحد من غازلتهم حينما كانت طالبة فى الثانوية العامة ، عاد من أمريكا منذ أيام ...لم يمل الاتصال بها ليل نهار يذكرها بنفسه.. والحب الذى كان ..و (الفيلا) التى بناها لها .. والسيارة التى اشتراها من أجلها .. ومصنع شرع فى إنشائه ..

ردت عليه : (حب إيه انت مجنون) ؟! .

أنا ست متزوجة ! .

واصل حديثه : ولكنى أحبك ! ومستعد لتزوجك بعد انتهاء العدة بثوان ! .

قاطعته :

اسمع يا أستاذ ، لم يكن لى يوما ما علاقة بك أو بسواك ... أرجوك لا تعاود الاتصال! .

بعد ساعات..

دخل (شريف) البيت ومعه ضيف قادم من بلاد العم سام ..نادى على (سعاد) أن تستقبل صديقا وجارا قديما ...حينما صافحته قبض على يدها ..أرسل عينه فى عينيها بوقاحة الأمريكان ..ثم جلس يتحدث عن أمريكا، ورحلة الثمانية أعوام، وما رجع به من مال وأفكار! حديثا دام ساعات .. بعدها انصرف الضيف الذى تبادل مع

سعاد مئات النظرات وعشرات التلميحات .

في الصباح ...

راحت سعاد ..تهتف على هذه وتلك من الصديقات، وتصحب (شريف) في زيارات هنا وهناك ، وعلى الأسماع تبادله أرق عبارات الحب وأرق عبارات الاحترام ..وعلى مرأى ممن لا يمنعها عندهم حياء تمسح على رأسه، وتحوطه من ظهره .

للمرة الثانية ...

خابت كل التوقعات ...

إن حياة الأسر، دائما بين الهدوء والضجيج، والشده والرخاء،تّدور ولا تمضي على نسق واحد .

هكذا قال بعض الأصدقاء ..

وقال بعضهم :

لما لا .. إن فتيات كثيرات نزع بهن الهوى وأخذت عقولهن أفكار الإعلام حينا، لكن بعد الزواج ،هدأت نفوس المراهقات، وعادت عقولهن إلى الأفكار الصواب،وصرن خير زوجات وخير أمهات ...

يئس الهاتفون من الصيد المرتقب ..

يئست الحاقدات من خراب البيت الذي يجمع أسرة :زوجا، وزوجة، وطفلة ....

لم يعد (شريف) ينزعج من كثرة الرنين المجهول وتلميحات الأصدقاء، وبعض زميلات العمل اللاتي كن على علاقة زمالة مع زوجته قبل سنوات ...

سكتت (سعاد) عن مطالبة شريف بالسفر، تحول نكدها سعادة ، وضجيجها هدوءاً و ذمها مدحا، حتى سؤاله لها كلما ذهبت هنا أو هناك لم يعد يغضبها، فبادلها الود ودا ،و السلام سلاما، فلم يعد يسألها إلى أين ذهبت ،أو من أين جاءت ، و أطلق لها العنان ..

صباح يوم الإجازة ...

استيقظت (سعاد) نشيطة و مسرورة ... استأذنته على غير عادتها أن تذهب إلى السوق الذى كانت ترسل له دائما فتاة فى العشرين من عمرها ،تقضى لها حاجاتها ..تنظف لها البيت مرة كل أسبوع، دائما تكون يوم أجازه (شريف) ، مقابل جنيهات ، فأذن لها مسرورا بعهد (سعاد) الجديد ...

و خرجت سعاد إلى السوق تصطحب طفلتها ...

وطالت غيبتها إلى ساعات ...

ثم عادت تحمل أكياس السوق، و من خلفها طفلتها تحمل لعبة اشترتها لها! ...

عند باب الشقة وقفت سعاد ترسل أذنيها من خلفه و هى تنظر إلى الطفلة بسبابتها على أنفها إشارة إلى السكوت، ثم فتحت الباب على عجل .. خلف الباب وجدت الخادمة تستكمل نظافته البيت ، و (شريف) جالسا يشاهد التلفزيون ...و كأنها أخرى غير التى خرجت صباحا منذ ساعات راحت تصرخ بهستيريا ، ذهبت بسكون البيت و العمارة كلها ...فزع إليها (شريف) يسألها السبب و الفتاة الخادمة إلى جوارها فى ذهول ذهب بأعصابها ...بادرته و هى مازالت تصرخ :

كده يا (شريف) ومع الخدامة ! .

لطمها على وجهها فبادلته اللطمة ! .

- و بتضربنى كمان !..

على صراخها فزع الجيران من حولهم ،ومن فوقهم ،و من تحتهم يسألونها عن سبب الصراخ و الضجيج ؟! .

بادرتهم بجرأة يعرفها عنها كثيرون و كثيرات من الأهل و الأصدقاء و جيران السكن الأول قبل الزواج :

إن زوجى الأستاذ الفاضل، الذى وهبته نفسى و حياتى و وثقت فيه

ثقة عمياء ،وجدته مع الخادمة فى عناق ،يتبادلان القبلات ...ويد كل منهما تحت ثياب الآخر ...

طاش عقلة، وراح يلطمها ، و الجيران يحولون بينهما :

طول عمرك فاجرة و كذابة .

ردت عليه :

(و علشان دى فكرتك عنى روحت تخونى مع الخدامة) ..؟! .

صرخت الخادمة.

حرام عليكى (يا سعاد) و الله ما حصل حاجة يا ناس ! .

أخذ الجيران كلا منهما عن الآخر .. توافد جيران آخرون .. اكتظ بهم المكان .

هتفت (سعاد) على أبيها ثم راحت تجمع ثيابها وثياب طفلتها .. راجعتها إحدى الجارات أن تهدأ و تفكر مليا، فلم تهدأ !! .

تناوب عليها الجيران بالشفاعة، فرفضت كل شفاعة ، و (شريف) فى ذهول يردد! .

(و الله كذابة و الله ما حصل) ! .

جمعت (سعاد) ثيابها ثم خرجت وسط الجيران إلى بيت أبيها .. فى بيت أبيها الذى يعج بأشقاء و شقيقات، يعجز الأب عن كفالتهم ، حكت تفاصيل وضع حرام بين الخادمة و الخائن (شريف) لم يخبرها عنه أحد، بل رأته بعينيها و الحل ! .

سألتها أمها :

أجابت :

الطلاق ! .

و البنت ؟! .

يأخذها إن شاء الله ! .

فى جلسة عرفية ..

جمعت أولياء الأسرتين، و بعض الأصدقاء ، و رجل يحتكمون إليه، أقسمت سعاد أنها شاهدت بأم عينيها زوجها (السافل) مع الخادمة فى وضع مشين .. !أقسم سمير أنه لم يقترب من الخادمة .. بلغ صوتها الآفاق و هى تطلب الطلاق ..افترض لها المحكم أن (شريف) اقترف مع الخادمة بعض الهفوات، التى لم تبلغ المكان الذى يقام عليه حد الرجم للمحصن، و الجلد للبكر، فلما لا تتجاوز عن الصغائر من أجل أسرة قامت، و طفلة مصيرها الشقاء إذا افترق الوالدان .. و لكنها أصرت على الطلاق و بدون حقوقها !! .

تم الطلاق ..

من (الفيلا البيضاء) التى بناها القادم من بلاد العم سام ، خرجت (سعاد) ترقب المارين ،فى انتظار إعلان الزواج بعد أربعة أشهر وعشرة أيام !! .

***

الذئاب البيضاء

من بيت الأستاذ يسرى المجاور لى انطلقت صرخات سيدات و أطفال صغار.. أسرعتُ نحو الباب ،و من خلفى زوجتى تضع غطاءاً على رأسها تستنبأ سبب الصراخ :

يا ترى ماذا حدث ببيت (مدام) هالة ؟! اللهم اجعله خيرا لهذه السيدة و أطفالها الصغار !..

أمسكت بكتفيها و قلت لها :

حبيبتى ابق أنت مع الأولاد

على سلم البيت نزلت ألاحق الدرجات ... ثم بضعة أمتار إلى بيت يســـرى .. و من ورائى شباب و شابات و رجال و سيدات من أهل الشارع ، و كذلك أطفال ، كدأب المسلمين فى كل خطب للجيران ، توافدوا يمدون يد العون للمستغيثين من بيت الجار ..

فى صالة بيته بادرتنا والدة يسرى تصرخ :

هالة .. ماتت يا أستاذ خالد !.

وقفت مذهولا أردد:

لا حول ولا قوة إلا بالله ! .

أصوات أخرى رددت :

(مدام)هالة ماتت ! .

(ازاى) !.

و السبب ؟! .

(مدام) هالة ماتت ؟! .

لا حول و لا قوة إلا بالله

زمن عجيب ...يموت الشباب و يبقى الشيب ..

سبحان من بيده الأعمار ..

من حجرة النوم التى ينبعث منها بكاء يسرى و صراخ أطفاله ونساء ، خرج (عمر) : صديق لنا فى أواخر العشرينات يضم بيسرى من ظهره و كلاهما يبكيان ..

حينما رآنى جثى (يسرى) على ركبتيه منهارا و نظر إلى فى انكسار و قال :

(خالد) لقد ماتت هالة ...

تسللت دمعات من عينى ، و خرجت من بين شفتاى الكلمات ثقيلة تصارع بكاءاً يتسلل إلى صدرى :

اصبر يا أخى واحتسب .. لله ما أخذ وله ما أعطى و كل شئ عنده بمقدار .

علا بكاؤه .. وراح يشير بيده إلى السماء كأنه يحترق فى نار :

سبحان الله ! .

قلت له :

خير ما تقول .. إياك أن تخسر ثواب مصيبتك بكلام الجهال ....

أخذ (عمر) به و حمله إلى أحد المقاعد و التف من حولنا الجيران ....

و البكاء و الصراخ يمزق أسماعنا و قلوبنا من كل ركن فى البيت ...

أشار (يسرى) كالطفل إلى مقعد وقال :

هنا كانت تجلس هالة !..

ثم راح يبكى ..

علا صوت أحد الجيران الواقفين على الباب :

الدكتور وصل ...

طبيب (هالة) الذى إعتادته منذ مولودها الأول ، حينما رآه

(يســـرى) اشتد بكاؤه و من حوله الأيدى تربت على كتفه و ظهره تسأله الصبر و الاحتساب ..

بعد لحظات خرج الطبيب و من ورائه نحيب النساء و الأطفال يكاد يصم الأذان ...

مد يده إلى (يسرى) وقال :

(شد حيلك) يا أستاذ يسرى (المدام) في ذمة الله ! ماتت نتيجة هبوط حاد في الدورة الدموية !.

تعلق به يسرى يبكى :

صحيح يا دكتور ؟! .

أشاح الطبيب بوجهه عنه وتركه مسرعا إلى الباب ...

اختلطت الأصوات بالبكاء ، وتناثرت الكلمات و الجمل من هنا وهناك ، و من هذا و ذاك ..

في خضم الزحام أقبلت زوجتى و شقيقتها الطالبة بنهائى كلية الطب البشرى تنسلان بين الرجال و النساء و الأطفال ، في طريقهما إلى حجرة النوم حيث تنام جارتنا (مدام هالة) نومة البقاء في عداد الأموات ، و على وجهيهما دموع كسيل السماء ...

(نسرين) شقيقة (مدام هالة) من هول الصدمة لموت شقيقتها الشابة لم تسلم بعد لخبر الموت ، و مازالت تنظر في وجوه السيدات والفتيات و تقول :

أنا لا أصدق أن (هالة) الجميلة قد فارقت الحياة ...لقد كانت عند الطبيب منذ ساعة في كامل عافيتها ...وهكذا تموت بعد أن تصل البيت بلحظات ؟!.

مسحت سيدة طيبة من الجيران على رأسها و ضمتها إليها !.

ولقد أكد لك يا بنية نفس الطبيب أن شقيقتك اختارها الله لجواره

ردت تصرخ :

طبيب كذاب . . . (هالة) ما زالت على قيد الحياة ! .
ثم نظرت إلى شقيقة زوجتى :

(إيمان) .. أنت طالبة بآخر سنة من كلية الطب ..يعنى دكتورة ...أرجوك ...حاولى شيئاً ما ..مازالت (هالة) على قيد الحياة !.
ردت ايمان :

اصبرى يا نسرين و احتسبى أختك عند الله تنالين الثواب ..لقد أكد طبيبها أنها فى رحمة الله ...

أمسكت (نسرين) بخمار إيمان و استعطفتها أن تتثبت الأمر لعلها تذعن لأمر الله .

شفقة بها استسمحت إيمان الجارات أن يخرجن ، ثم راحت تفحص الجسد الذى فارقته الحياة ، فإذا بها تنهار لحظة بعد لحظة ، انهياراً بعد انهيار ، حتى علا نحيبها و صرخت صرخة فزعت بالمنتظرين خارج الحجرة إلى داخلها :

حرام ! ...و الله حرام !. . .

دخل (يسرى) يجرى ، و أنا و (عمر) له قدما بقدم ... و من ورائنا الجيران ...فردهم (عمر) عن الحجرة و أغلق الباب ..سألت أيمان ماذا وجدت؟! .

أدارت وجهها عن وجوهنا و قالت :

مصيبة يا خالد .. إن (مدام هالة) ماتت بسم محقون متراخى المفعول بعد تعرضها لاعتداء جنسى ظاهر .

قلت لها :

أرجـــوك ..لا تفضحى السيدة ميتة ،و قد كانت حية من خير النساء! .

قالت و البكاء يذهب و يعود بصوتها :

إن أثر السم المحقون متراخى المفعول واضح فى جسدها كله ،

وزوجها عاد من عمله ليجدها ميتة ،فمن مزق ملابسها الداخلية ؟!
ومن أين جاءها ماء الرجل الذى مازال رطبا إلا من آخر غير زوجها ؟!.
إذن .. لماذا لم يصرح الطبيب بالحقيقة ؟.
ردت أيمان :
لأنه المجرم الذى اغتصب ! و السفاح الذى قتل ! و سيثبت تقرير الطب الشرعى أن الموت سببه سم محقون متراخى المفعول ،و أن المنى الموجود على ثياب المسكينة الداخلية هو منى الطبيب الذى اغتصب ثم قتل ..
ولماذا لم تخبر زوجها أو أحداً من أهلها ؟! .
لم يسعفها الخجل ،و لو أسعفها الخجل لم يسعفها الزمن
أغشى على يسرى بين الناس ...
صرخ (عمر) صرخة غاضب جسور و نظر إلى يسرى بين أيدى المسعفين :
قلت لك مرارا و تكرارا لا تعالجها عند رجل ، فالطبيبات كثيرات وفى كل مكان ، و لم تصغ لنصيحتى و اتهمتنى أنى متشدد وشكاك !.
وقف أشقاؤه و أشقاء زوجته بين مطأطأ الرأس يبكى و ثائر يتوعد الانتقام ...
حضرت النيابة ... عاينت الجثة ...سألت إيمان (طالبة الطب) .. طلبت ندب الطبيب الشرعى ..أمرت بضبط و إحضار الطبيب المتهم .. حاصره وكيل النيابة بالأدلة التى تشير إلى ارتكابه جريمتى الاغتصاب و القتل بالسم ..ذكره و كيل النيابة بالله و الإسلام والضمير وشرف المهنة .. نبهه أنه لا مفر له ، فتقرير الطب الشرعى لن يتأخر عن ظهر الغد ، ورجال المباحث الآن بعيادته يحرزون كل ما بها من عقاقير و سموم و حبوب منع الحمل التى يمنحها للرخيصات اللاتى

يخضعن له .. انهار الذئب الذى يحمل وجه إنسان و شهادة من إحدى كليات الطب ثم قال بوقاحة و كبر المجرم حينما يدرك أنه إلى حبل الإعدام ماض لا محالة :

لست الطبيب الوحيد الذى مارس الجنس مع امرأة أو فتاة ..و ليست هذه هى المرة الأولى التى مارست فيها الجنس مع إحدى مريضاتى ..و لكن (هالة) كانت هالة من جمال ..حاولت معها كثيرا بحجج الطب ، و لكنها لم تخضع كما خضعت لى أخريات مع أول كشف تحت الثياب !! و رغم أنى وضعت يدى حيثما رغبت إلا أنها لشدة حاجتها إلى الخروج من مرضها اعتبرت ذلك من دواعى العلاج .. و رغم أن جارة لها متزوجة من صديق لزوجها يدعى (عمر) قالت لها : إن حكم الشرع ألا تعالج المرأة نفسها عند طبيب إلا لضرورة وهى عدم وجود طبيبة فى نفس التخصص ،و فى حضور محرم لها كما أخبرتنى ذات مرة ،إلا أنها كانت تعتبر حالتها هذه من حالات الضرورة ! .

قاطعه وكيل النيابة :

س : و هل كانت حالتها كذلك؟ .

ج : طبعا لا ..لقد ندرت اليوم حالات الضرورة التى تضطر امرأة أو فتاة إلى اللجوء إلى طبيب

س : لماذا؟ .

ج : لأن الطبيبات اليوم كثيرات و فى كل فروع الطب ،و كثيرات منهن أمهر من كثير من الأطباء

س : هل سبق لك أن مارست الجنس مع المجنى عليها غير المرة الأخيرة ؟.

ج : لا ...

س : و لهذا اغتصبتها ؟.

ج : نعم ...

س : ولهذا قتلتها بالسم متراخى المفعول حتى لا ينكشف أمرك ؟

ج : نعم ...

س : و لهذا سارعت إلى بيتها و كتبت فى تصريح الدفن أن سبب الموت هبوط حاد فى الدورة الدموية ؟.

ج : نعم ...

س : ألم تخف أن تخبر المجنى عليها أحد بأمرك قبل موتها ؟.

ج : لا ..

س : لماذا ؟.

ج : لأنها كانت امرأة مختلفة عن كل من سبقنها من مريضاتى اللاتى مارست معهن الجنس ،و لم يكن من السهل عليها أن تخبر أحد بفضيحتها ..

س : و لكنك خشيت أن تتجرأ من بعد فتكشف أمرك فقتلتها بالسم المحقون متراخى المفعول ؟.

ج : صحيح .

س :هل من سبق لك ممارسة الجنس معهن كن جميعا سيدات أم كان فيهن آنسات ؟.

- أجاب و قد استحالت وقاحته و كبره إلى ندم :
- سيدات و آنسات ...بل و تلميذات فى الإعدادية ! .

و بعد اعتراف المتهم بما نسب إليه قررنا نحن ....إحالة المتهم المذكور إلى محكمة الجنايات بتهمتى الاغتصاب و القتل العمد بالسم .

***

شغب الأربعاء

- مظاهرات فى كل مكان .. من الإسكندرية إلى أسوان .. اشتباكات بين الأمن و المواطنين على أشدها فى شوارع المدن الكبيرة والطرق الرئيسية التى تربط بين هذه المدن ... إطارات تشتعل هنا وهناك .. و كذلك سيارات .. أجرة .. نقل .. ملاكى .. قوات الأمن تتدفق من معسكراتها كالسيول إلى بؤر الصدامات التى لا حصر لعددها إلا بحصر عواصم و مدن و قرى المحافظات .. القوات الخاصة بدأت عناصرها القوية الشرسة المدربة على أعلى المستويات .. شرف كل مصرى .. تصل مواقع الصدامات بأحدث الأسلحة و المصفحات ووسائل الاعتقال .

امتد الشغب إلى خطوط السكك الحديدية فى أسيوط .. و المنيا ..و كفر الدوار .. تعطلت القطارات ... أخذ تلاميذ المدارس وطلبة الجامعات الذين يتخذون القطار كل صباح العودة إلى بيوتهم على الأقدام .

فوق كوبرى كفر الزيات .. الموشك على الانهيار ... احترقت إطارات و سيارات و انقطع الاتصال بين القاهرة و الإسكندرية عند هذا الشريان الذى يمر من تحته نيل مصر الذى لوثته هناك الإطارات و السيارات المحترقة .. و من قبل مصانع تصب سمومها فيه من كل اتجاه...

ما زال رجال القوات الخاصة و قوات الأمن ينتشرون و يسيطرون ويحكمون قبضتهم على كل مكان فيه شغب و مظاهرات .. ويزجون بعناصر الشغب إلى سيارات الشرطة الزرقاء ..

حتى الآن .. لم يقف أحد على سبب هذه الفتنة الجديدة التى أتتنا مع صباح الأربعاء ..

في الطريق ..

إلى مكتب المحاماة الذى أعمل فيه قابلت مدرساً لى كان يجمعنا أثناء الفسحة يعلمنا الصلاة يوم كنا تلاميذاً فى الابتدائية منذ عشرين عاما و بادرنى :

إياك أن تندفع و تشارك الهمل الرعاع فيما يقترفون !. إن هذه السيارات المحترقة و المحلات المحطمة الأبواب و الواجهات ليست محلات أو سيارات مالكيها وحدهم إنها ملك لنا جميعا ..وهؤلاء المنتشرين بزيهم الأسود المهيب وأسلحتهم الموجهة فى كل اتجاه لا يدافعون عن حكومة أو رئيس أو وزير بل عنى وعنك وعن كل هؤلاء الأبرياء ..

وأشار إلى نساء وأطفال وطلبه وتلاميذ يسرعون هنا وهناك فى ذعر يخطف وجوههم وخوف يهرول مع أقدامهم ..

قلت له :

إن إذاعات اليهود فى لندن ومنتوكارلو وغيرهما تتابع الأحداث لحظه بلحظة منذ الصباح تبث الفتنة والرعب فى نفوس الناس وتّدعى أن سبب المظاهرات والحرق والتحطيم وتعطيل وسائل النقل غير معروف حتى الآن لتدفع الآمنين فى بيوتهم وأعمالهم إلى الشوارع ، ثم حجر أو عدة أحجار يقذفها أرعن أو رصاصة يطلقها مدسوس من هنا أو هناك ينطلق الرصاص ليحصد أرواح الأبرياء من الشعب الطيب و الشرطة الساهرة على أمن هذا البلد وتعم الفوضى ويسود الخراب والدمار .

عند حاجز أقامته الشرطه للتحرى والتفتيش افترقت عن أستاذى القديم دون جواب إلا أنه نظر إلى وقال :

- لا تحزن .. مصر فى حفظ الله

فى الطريق إلى المكتب ..

رأيت مدير المستشفى العام الذى سرق (أنسولين) الغلابة! وباعه

فى السوق السوداء يهرول إلى المبنى :كريه الشكل، كريه الرائحة، كثير القمامة، ناقص الأدوية، سيء الخدمة ، حتى البسمة يستكثرها أكثر أطبائه على الناس . . المكتوب على واجهته : المستشفى العام.

سمعت (لندن) تنبعث من إحدى المعاصر :

منذ قليل أفاد مراسلنا فى مصر أن السبب الراجح لهذه المظاهرات حتى الآن هو الهبوط الحاد للجنيه مقابل العملات الأخرى مما دفع بالحكومة إلى رفع الأسعار رفعا دفع الجمهور إلى الانفجار .وإن كان بعض المحللين يشككون فى هذا السبب لأن هذا الهبوط للجنيه المصرى ليس هو الأول و لن يكون الأخير إن استمر الحال كما هو الآن !.

من خلفى سمعت سيارة تطلق أبواقها كالرعد، كأنها تنذر المهرولين على أقدامهم بالويل أن يفسحوا لها الطريق الذى يعج بالمذعورين ؛ فنظرت، فإذا بها سيارة سوداء يستقلها ثلاثة :

رئيس مجلس المدينة !.

مدير إدارة الطرق و الكبارى :

مدير مكتب مباحث تموين المدينة !.

عن يمينى و على واجهة أحد محلات الملابس قرأت :

قال رسول ﷺ : « ما نبت من سحت (حرام) فالنار أولى به » .

بعد قليل بأحد المطاعم وقفت أسمع منتوكارلو :

منذ قليل أفاد مراسلنا بالقاهرة أن ما يحدث بمصر من مظاهرات وأعمال شغب سببه احتجاج الشعب المصرى على تهريب أكثر من خمسة و أربعين مليارا خارج مصر عن طريق رجال أعمال مشبوهين وفشل الحكومة المصرية عن اتخاذ إجراءات حاسمة ! قانونية أو أمنية لرد هذه المبالغ الكبيرة التى هزت الاقتصاد المصرى هزة كبيرة زادت من عناء الجمهور الذى تتدهور أوضاعه المعيشية يوما بعد يوم !.

إذاعـة بغـداد ؟ على لسان مسـئول عراقى كبير ؟ قـالـت : إن مظاهرات مصر العارمة جاءت احتجاجا على الحرب الأمريكية القادمة ضد بغداد و المهيب الركن صدام حسين !.
علق رجل يحمل ملفا ورقيا وحقيبة صغيرة سوداء :
وهل أتتنا المصائب إلا من خلف صدام و أشاوس بغداد ؟! .
فى المكتب ؛ مع الزملاء جلست أتابع (أهم الأنباء) التى تدق مع موسيقاها القلوب وتنطلق الألسنة :
(اللهم اجعله خير) .
قال السيد وزير الداخلية :
بعد سيطرتنا على كافة بؤر الشغب التى قادها اليوم سائقون فى عواصم ومدن وقرى بعض المحافظات! مطالبين بإلغاء القرار الخاص بإلغاء نوع من السيارات النقل المغطاة التى تعمل كسيارات أجرة و المسماة (سيارات كبود) بدءا من السيارات موديل ٩٣ فما دونها ، فإن وزارة الداخلية تهيب بالمواطنين الشرفاء المحبين لوطنهم ألا يشاركوا هؤلاء الذين خرجوا على القانون، و أثاروا الرعب و الفزع فى نفوس الآمنين ، علما بأن القرار الذى صدر بإلغاء هذا النوع من السيارات جاء حفاظا على أرواح المواطنين، وسلامتهم، وتطويراً لأوضاع غير حضارية آن لها أن تزول .وفى الوقت نفسه فإننا نحذر كل من تسول له نفسه العبث بأمن هذا الوطن و الوقوف خلف هذا الشغب و التخريب .
كاميرا التليفزيون ...
نزلت تستطلع على الهواء مباشرة آراء المسئولين و المواطنين عما حدث :
وزير الداخلية بعد بيانه طمئن الشعب و القيادة بأنه يملك زمام الأمور بإذن الله، ثم جهود أبناء ورجال الشرطة الأوفياء .
الوزير الثانى قال :

إن الإرهاب الذى قضينا عليه من قبل، سنقضى عليه اليوم و غدا، وكلما خرج له نبت قطعناه، وكلما شبت له نارا أطفأناها.
نبهته المذيعة :

و لكن الذى حدث اليوم (يا فندم) ليس من ورائه إرهابيون كما صرح السيد وزير الداخلية ، إنما شراذم من سائقين جهلة أكثرهم حصل على رخصة القيادة بشهادة ٠محو أمية ٠مزورة ! و خمسين جنيها دفعها لأمين شرطة بإدارة المرور ؟! .

فجأة ٠٠ انقطع الإرسال و خرجت مذيعة أخرى تأسف عن عطل فنى بالكاميرات الخارجية !.

بعـــد لحظات ٠٠ عـــاد الإرســال ٠٠و لكن مع وزير النقل والمواصـلات ٠٠

سألته المذيعة :

سيادة الوزير ٠٠ فى مثل هذه الأحداث المؤسفة التى يترتب عليها إصابة المواصلات بالشلل التام ماهى خطة الوزارة لمواجهتها ؟.
أجاب :

بعد كارثة قطار كفر الدوار، و من بعدها كارثة قطار ايتاى البارود، و من بعده كارثة قطار الصعيد ،و كوارث الحوادث، التى لا تنتهى يوميا على جميع الطرق أعددنا مشروع قانون هو الآن تحت المناقشة بالبرلمان !.

ردت المذيعة :

سيادة الوزير ٠٠ معنى ذلك أنه ليس للوزارة خطة طوارئ كدول العالم المتقدم الذين تريدون اللحاق به.
أجاب :

بكل صراحة إمكانيات الدولة لا تسمح بتطوير السكك الحديديه وخطوط الأتوبيسات الهالكة ،أو سحب السيارات القديمة و سيارات

النقل المحولة لسيارات ركاب من أصحابها و ابدالها بسيارات (مينى باص) حديثة بقروض ميسرة كما اقترح البعض ٠٠و لابد من جهود القطاع الخاص و رجال الأعمال و الجمعيات الخيرية !.

من خلف المذيعة امتدت يد أحد العاملين بورقة أمسكت بها المذيعة ثم قالت :

سيادة الوزير هذا فاكس و صلنا من المواطن (ع م) يقول فيه :

أرى أن أفضل الحلول لمشكلة السائقين ألا تتراجع الحكومة عن قرارها حتى لا تسقط هيبتها و تضعف قبضتها على البلاد فتنهشها ثعالب الداخل ! وكلاب الخارج ! الذين يدبرون لنا مكائد الخراب ليل نهار و فى الوقت نفسه تسمح لمن يتم إعادة سيارته الأجرة (الكبود) إلى سيارة نقل (بغير كبود) أن يظل فى عمله بنقل الركاب، بشرط أن يشترى عشر شمسيات أو أكثر بعدد الركاب كلما صعد راكب ظهر السيارة (النقل طبعا) أعطاه شمسية فإذا نزل الراكب استلمها منه،و من كان معه شمسية من الركاب يدفع نصف أجرة ! .

فما رأيك يا فندم فى هذا الاقتراح ؟٠

***

من قتل من ؟

منذ أسابيع ومصر كلها تتحدث عن سفاح في القاهرة هوايته قتل النساء و الفتيات ..

أخر ضحاياه اليوم فتاة في الثامنة عشر من عمرها وجدت مقتولة في شقة لأبيها الثرى .. تلقى فيها صديقاتها للمذاكرة بعيدا عن ضجيج (الفيلا) التي لا تكف هواتفها الثابتة و المحمولة عن الرنين ، ولا تفرغ من أصدقاء و صديقات شقيقتها الكبرى ،و أصدقاء و صديقات شقيقها الأكبر و كذلك أصدقاء و صديقات والديهما ...

صحف و مجلات العلمانيين اتهمت ارهابين حاقدين على نساء وفتيات الأسر الثرية لإرغامهن على تقاليد و أزياء ألف عام مضت ...

صحف الإسلاميين ردت :

الحجاب فرض و الاختلاط لغير ضرورة حرام ... و اسألوا دار الافتاء ..

لم يقم دليل على ما تدعيه الصحف و المجلات المشبوه !! .

و نصف عدد القتيلات بنات من أسر فقيرة !! .

مذيعة مشهورة ! تربت في أمريكا ، تتعطر كل صباح بتراب الأمريكان ، و تسافر كل صيف لتقضى صيفها الحار !مع أصدقائها الأمريكان ، استضافت أستاذا في علم الاجتماع ، و أخر في الطب النفسي ، و ممثلا ، و راقصة ، و شيخا في الأزهر ، و محاميا .

استفتحت المذيعة برنامجها :

إن يد الإرهاب الآثمة بلغت حتى النساء و الفتيات البريئات لإجبارهن على ارتداء الحجاب ، و البعد عن الصداقات البريئة تحت أعين الأسر في البيوت ، و تحت عين المجتمع في الحدائق و النوادى

والبلاّچات .. نفس (السيناريو) الذى حدث فى طهران يحدث اليوم فى القاهرة ..متشدد ..إرهابى يهوى سفك الدماء ، و يعشق الظلام قتل سبعا و عشرين سيدة بدعوى أنهن عاهرات لا يرتدين الحجاب .. ثم وجهت حديثها للحضور ...

يا سـادة .. أليس الحجاب حرية شخصية ؟!.. هل الصداقات البريئة تحت أعين الأسرة داخل البيوت ،و تحت عين المجتمع فى الأماكن العامة كما نرى الأصدقاء مع الصديقات على (كورنيش النيل) ، وطريق المطار ، و حدائق القاهرة و الجيزة و غيرها من محافظات مصر حرام ؟! .

أستاذ علم الاجتماع قال :

الإنسان السوى بطبيعته اجتماعى، لابد له من صداقات، و الصداقات تنقسم إلى نوعين :صداقة بين جنسين متحدين كصداقة الشاب لشاب و فتاة لفتاة ،وصداقة جنسين مختلفين، كصداقة شاب لفتاة ،و صداقة رجل لامرأة ،أما الصداقة من الجنسين المتحدين فهى لا تثير خجلا فى أى مجتمع ما، أما صداقة الجنسين المختلفين فهى التى تثير جدلا بين الجواز و عدم الجواز فى المجتمعات المسلمة ، و أنا كأستاذ فى علم الاجتماع أرى أنها جائزة بشرط أن تكون فى اطار محدود لا يخرج إلى دائرة الجريمة المعروفة ..جريمة الزنا و الأوضاع الخارجة كما يحدث بين كثيرين !! .

أستاذ الطب النفسى رد ظاهرة السفاح إلى شخصية (سيكوباتية) تعشق سفك الدماء ،و قد تكون دوافعه دينية، و قد تكون غير ذلك من دوافع الاجرام، و السبب تعرض هذه الشخصية لضغوط نفسية واجتماعية أصابتها بخلل جعل منها شخصية إجرامية ...

الممثل و الراقصة اتهما أحد الإرهابيين أو مجموعة إرهابية من دعاة الحجاب و عدم الاختلاط ،كى تتحجب كل نساء و فتيات مصر،

وتموت الصداقات البريئة بين الشباب و الفتيات و النساء و الرجال ..
أشار المحامي يريد الحديث ..
ابتسمت له المذيعة لعله يريد التأكيد
قال :

الشرع، و القانون، و العقل، و المنطق كلهم جميعا يحتم ألا نبني حكما على باطل و لا نتهم أحدا إلا بدليل قطعي ،و لم يقم حتى الآن دليل واحد سوى الظن و التخمين ،أن إرهابيا أو إرهابيين هم الذين قتلوا هؤلاء السيدات و الفتيات ،و إن تزيّ أحدٌ بزيّ الدين و ارتكب جهلاً أو مكيدة جريمة ما ، فالدين منه برئ ، و المتدينون منه براء .. لماذا نسعى دائما لاتهام الدين و المتدينين كلما و قعت جريمة هنا أو هناك؟! .

إن الدين حصن المجتمعات ، والمجتمعات المتدينة أقل جريمة من غيرها، و أكثر أمنا من سواها .. أما الحجاب ففرض على المسلمة كالصلاة .

والصداقة بين الشاب و الفتاة أو الرجل و المرأة لا تجوز بحال من الأحوال .. أما معاملات الحياة العادية بين جنسيين مختلفين فلم يقل أحد إنها حرام ، فالدراسة والمواصلات والبيع والشراء ، والشارع ،والأماكن العامة أحوال تستدعى الحديث والاختلاط ، ولكن الحديث بقدر الضرورة التى تستدعى الحديث، و الاختلاط بقدر الضرورة التى تستدعى الاختلاط ، أما من بعد ، فلى زوجة و ابنة وأم ، لا أقبل بأى حال من الأحوال إن كنت صحيح المروءة – أن تخرج لقضاء عطلة نهاية الأسبوع أو سهرة ليلة مع أجنبى عنها يجوز له أن يتزوجها بدعوى أنهما صديقان ، أو تتحدث مع آخر غريب عنها فى خصوصياتها أو تمازحه ، أو تقابله هنا أو هناك فى نادى أو حديقة (للدردشة و الفضفضة) بدعوى الصداقة التى تستلزم كل هذه

الأمور؟!.

وأظن أن فضيلة الشيخ يوافقنى على هذا الكلام ..

هز أستاذ الأزهر رأسه بالإيجاب ...

صاحت فيهما الراقصة ..

يا (خبر أسود) معنى كدة إن الرقص حرام ؟ الظاهر إن الأستاذ منهم ..

رد المحامى :

حتى لو كان على واحدة و ربع يا مدام ! .

صرخ الممثل :

دا جه إزآى هنا ده ؟ .. خلاص إحنا نروح نشحت على أبواب الجوامع .. !! ..

بعد ضجيج طال و كلمات من هنا و هناك تدخلت المذيعة التى انصرفت إليها الكاميرا و أنهت البرنامج

بعد ساعات ...

أصدر السفير الأمريكى بيانا و قرر فيه أن c-I-a جهاز المخابرات الأمريكية أكد له أن حوادث قتل فتيات و سيدات القاهرة نفذها إرهابيون لإرغام كثيرات من سيدات و فتيات القاهرة على ارتداء الحجاب و إنهاء صداقاتهن مع الشباب و الرجال، حتى تختفى مظاهر الرقى و الحضارة على (كورنيش) النيل، و طريق المطار، و حدائق القاهرة، و الجيزة ،و شارع الهرم، و المنتزه فى الإسكندرية، و منتزهات المحافظات الأخرى ...

فى برنامج الاتجاه المعاكس الذى أعدته (قناة الجزيرة) القطرية لمناقشة الظاهرة رد أستاذ فى الجامعة على سفير أمريكا فقال :

إن c-I-a جهاز عاجز كذاب، يزور التقارير، و الجهاز الذى زور التقارير لإبادة الأخضر و اليابس فى العراق، و قتل الأبرياء ،و الاستيلاء

على أكبر احتياطي عالمي للبترول في العالم ،ليس غريبا أن يزور تقريرا لمصر كي يدفع حكومتها إلى قتل و اعتقال أبنائها الأوفياء الذين لاعلاقة لهم بالإرهاب الذي تفتعله أمريكا نفسها كما افتعلت أحداث ١١ سبتمبر و غيرها، و تتخذ منها ذريعة لغزو العالم الإسلامي والاستيلاء على بتروله . و قتل صحوته.

تدخل مدير أمن العاصمة ردا على سؤال مذيع الجزيرة له عن مدى صدق تقرير c-I-a

نحن لا نأخذ بتقرير c-I-a و لا سواه، و لدينا أجهزة أمنية ذات كفاءة عالية، و شرطة قادرة على حفظ أمن البلاد

.. بعد ساعات ...

اجتمع مدير الأمن برؤساء المباحث ..

رئيس مباحث العاصمة قرأ على مدير الأمن آخر تقارير المباحث ..

الضحايا سيدات و فتيات، أكدت التحريات أنهن لا يتمتعن بسمعة طيبة ..ثلاث نساء منهن صاحبات محلات (كوافير) .. وأربع منهن يمتلكن محلات ملابس حريمي مستوردة ..و الفتيات منهن طالبات بالجامعة، و أخريات بالمعاهد، و ثلاث حاصلات على دبلومات فنية ...ينتمي أكثرهن إلى أسر ثرية،و بعضهن إلى أسر فقيرة ..ليس بينهن واحدة محجبة باستثناء بعضهن كن يضعن من حين لآخر اشاربات على رؤسهن ..وسيلة القتل واحدة في جميع الجرائم ..بعد تشريح الجثث تبين أن الفتيات كن منحرفات جنسيا ..كما تبين أن اللاتي قتلن قتلا جماعيا كن قد احتسين قبل القتل جرعات خمور... وضعت فيها مواد مخدرة .. أما اللاتي قتلن قتلا فرديا فلم توضع لهن مواد مخدرة مع الكحول قبل ارتكاب الجريمة ..جميع جرائم القتل تمت بصورة توحي بالانتقام ... و حسب ما تم تحريزه في مسارح الجريمة لم تكن السرقة دافع الجاني ..

بعد أن قرأ رئيس المباحث تقريره تلا على زملائه خطة المتابعة ...

بعد دقائق ..

انتشر رجال المباحث فى كل مكان ..جميع القتيلات تم وضع صديقاتهن و أصدقاءهن و أقاربهن تحت المراقبة ..و كذلك جميع (قلل) القاهرة و ضواحيها

الساعة التاسعة ليلاً..

من إحدى القلل انطلقت سيارة تقودها فتاة ترتدى بنطلون (استرتش) و فانلة حمراء و حذاء رياضى .. عند إحدى مغاسل السيارات تركت سيارتها ثم أخذت (تاكسى) إلى اتجاه مجهول ...ورجال المباحث فى إثرها ..عند إحدى العمارات بأحد الشوارع الغنية هبطت .. تبعها الكمين و هى تهرول .. بعد سير تعدى الكيلومترا .. صعدت إحدى العمارات الفخمة .. تبعها أحد رجال المباحث .... من خلال السلم لمح المصعد الكهربائى يرسو بالدور الرابع ... خاطب المنتظرين أمام العمارة بعيدا عن مرمى الناظرين ..

الدور الرابع ..الدور الرابع ...

علم ..جارى المتابعة ...

قرع أحد رجال المباحث حجره البواب .. سأله عن الشقة المواجهة للمصعد فى الدور الرابع ..أجابه أنها لفتاة فى الجامعة ،يأتى اليها أصدقاء و صديقات للمذاكرة .

مرت ثلاث ساعات و (الكمين) فى مراقبة الصاعدين و النازلين وأنوار الشقة من خلف الشيش .. منتظرا أذنا بالتفتيش .. و فجأة انطفأت الأنوار التى لم تكن توحى بشئ مريب ..

هبط أحد رجال المباحث من السيارة ..جرى فى اتجاه العمارة.. رصد نفس الفتاة تنزل من الدور الرابع ..و لكن بزى أبيض!! .

عند مدخل العمارة انتظرها ثم استوقفها للسؤال و التحرى ..لاحظ

يديها ترتعدان و صدرها يرجف ،و بينما هى تخرج من حقيبتها بطاقتها الشخصية كما سألها ، باغتته بسكين فى يدها ،فطوى ذراعها واستله منها ..

أسرع إليه زملاؤه ..اقتادوها ..و من خلفهم البواب ..إلى الطابق الرابع ..

فى الصالة ..

وجد رجال المباحث زجاجات خمور فارغة..و مجلات و أشرطة ڤيديو جنسية ..و ملابس داخلية لفتيات و شباب ملقاة هنا و هناك .. تفرقوا إلى حجرات الشقة الثلاث .. فاذا بجثث فتيات و شباب عرايا كيوم ولدتهم أمهاتهم .. بعضهم فوق الأسرة .. وبعضهم على الأرض أدركه الموت و هو يحبو نحو الباب تلاحقة الطعنات .. و رائحة الخمر ودخان الحشيش كرائحة الدم تعصف بالأنوف ..

هتف رئيس المباحث إلى مدير الأمن الذى هتف إلى وزير الداخلية ..

انتقل إلى المكان عشرات الصحفيين والمصورين وقنوات التليفزيون .

انتهى لغز السفاح ....

الإرهاب برئ

بل ليس فى مصر إرهاب ..

فى النيابة ....

انهارت الفتاة طالبة الجامعة

اعترفت...

أنا السفاح !!

كم قتلت ؟ سألها وكيل النيابة فأجابت !.

كل من تحدثت عنهم وسائل الإعلام .

ما السلاح الذى استخدمتيه ؟

سكين واحد .

ما الذى دفعك لقتل هؤلاء؟

لأنهم قتلونى قبل أن أقتلهم ...أنا الآن فى عداد الأموات قبل أن أصل غرفة الإعدام

إزاى ؟

لأن كل هؤلاء قتلونى يوم قتلوا عذريتى و ذبحوا بكارتى ! .

و كيف قتلوا عذريتك ؟!.

استدرجتنى إحدى صديقاتى فى الجامعة إلى سهرة من سهراتها السوداء، فهربت منها أول مرة حينما رأيت شبابا كالذئاب يدورون حولى كلُ يحاول الإيقاع بى بين أنيابه ...قالوا لى كل ما قيل من كلام الحب و الغرام - فتلك شباكهم - ولكنى لم أسلّم نفسى لأحدهم كما سلمت من حولى صديقات ...ولأن أبى كان يمنعنى من صداقة زميلات فى الجامعة يرتدين الخمار والنقاب خوفا علىّ منهم ،لم أجد لى صديقة إلا من هؤلاء العاهرات ..فأنا أريد ككل فتاة أن تكون لى صديقات، فعدت إليها ومن خلالها عرفت الأخريات اللاتى استدرجننى من خلال المجلات الجنسية و أشرطة الفيديو المخلة بحجة أننى لابد أن أعرف هذه الأمور قبل الزواج ..و سهرة بعد سهرة عرضن علىّ أن أمارس الجنس بأمان، فأظل بكرا كما أنا حتى الزواج ، ومن بعد لى الخيار أن أبقى فى عالم المتعة أو أكتفى بواحد، و لأنى فتاة وإنسانة يدب فىّ ما يدب فى كل الفتيات وافقت حتى وجدت نفسى امرأة ولم أعد فتاة ...ساعتها فقط حسست كم فقدت من ثروة وملك ...إن العفاف أعظم ثروة، و البكارة أكبر ملك تمتلكه فتاه... زادنى ألما وحرقة أن أرى زميلات لى فى الجامعة محجبات تشع وجوههن نورا يمضين مطمئنات واثقات وثيقات الصلة بالله و أنا أمضى و من خلفى أخريات كإناث الكلاب الضالة ينتظرن ذكور

الكلاب الضالة على مداخل الجامعة ونواصى الشوارع ، نتلصص كل خطوة و ننظر إلى الوراء لعل رقيبا يرقبنا حيث نتلاقى فى الشقق المفروشة كالشياطين تتلاقى فى دورات المياه، و تحت جنح الظلام... وكل منا : شاب و فتاة يدرك أنه لا نظافة فى صاحبه و لا إخلاص... فالجميع خونة ...و الجميع أنجاس و من يزنى بواحدة يزنى بغيرها و من تزنى مع واحد تزنى مع سواه ...كم شعرت أنى كمرحاض ...كم شعرت أنى رخيصة ...و حقيرة ...كم شعرت أنى ضائعة ...و كلما استيقظ قلبى من سكرة الجنس و استيقظ عقلى من سكرة الخمر اشتعل صدرى نارا، واضطرمت نفسى حقدا و انتقاما من كل من استدرجتنى إلى هذا الطريق ...من كل من زجت بى مرة مع هذا و مرة مع ذاك... تدعى لى أن تلك هى لذة الحياة ...و هى ألم الحياة ...حتى قررت أن أنتقم من كل من فتحت لى باب شقة ..و دلتنى إلى السوء ..و كل من عرفت عنها أنها تستدرج البريئات إلى هذا الطريق ...و لذا قررت الانتقام .

س

ج

س

ج

و بعد قررنا نحن ....

حبس المذكورة ...أربعة أيام على ذمة التحقيق .

أقفل فى ساعته و حينه ..

***

الشقيقتان

نادى حاجب الجلسة عندما دخل القضاة ،ووكيل النائب العام ، قاعة المحكمة ..

انعقدت جلسة محكمة الجنايات ..

الجميع فى صمت ..

وقف ممثل الإدعاء العام .. استفتح مرافعته باسم الله .. ثم نظر إلى مدرس خلف القضبان وقال :

إن الماثل أمامكم يا سادة مدرس ثانوى يحمل أمانة العلم و التربية بتفويض من الأمة ،و الأسر التى استأمنته على بناتها ،فالتعليم و التربية عمل الأنبياء عليهم الصلاة و السلام ،ثم الشرفاء الذين تبوأوا هذه المكانة من بعدهم ،فليس بعد محمد ﷺ نبى ، و كان الأصل فى السيد المدرس ! أن يكون قدوة الأخلاق ،داخل مدرسته و خارجها ، ولكنه كفئة تنخر فى صلب المجتمع هذه الأيام اتخذ من التعليم وسيلة إلى الدروس الخصوصية ، ليجنى منها عشرات الآلاف كل عام ،واستنزافا للأسر التى وهبها الله الثراء، و قهرا للأسر الكادحة التى أنهكتها أتراح الحياة .و ليته رضى و استكان ، بل استرسل فى غيه ومضى يهتك أعراض الناس حينما يخلو بالطالبات و التلميذات فى شقق الدروس الخصوصية ، ترغيباً أو ترهيباً للمراهقات، و رغم كثرة الشكاوى التى قدمت ضده ،و البلاغات التى كتبت فيه من مجهولين و معلومين ، منهم طلبة و تلاميذ ،إلا أن الشرطة لم تصل إلى ما يدينه ، فهو ذئب ماكر ،يعرف أين و كيف يفترس ضحيته .

أما الضحايا من المراهقات طالبات الثانوى و تلميذات الإعدادى فمنهن من رضخت لرجسه ، لأنها نبتُ بيت لا يعرف الدين

والأخلاق ،و منهن من انطوت على نفسها و فضيحتها ،تكتم سر نفسها فى صدرها ، خوفا من بطش وليها ،و ضياع مستقبلها ، و سوء سمعتها بين الناس .

ومن لم ترضخ للشيطان بدافع الجنس الثائر فى تلك الفترة من حياة المراهقات ،بث لها الخبيث المخدر فى كوب ماء أو شاى . و إن كان جرم الفاجر لم يبلغ أن فض بكارة إحداهن تحت تأثير الشهوة أو المخدر إلا أنه أتى الزنا بمعناه الشرعى ،و هو تغييب رأس الذكر فى فرج أنثى لا تحل للفاعل ،و لا يعنى بعد ذاك أنه فض البكارة أم لا بل إنه ارتكب أعظم الموبقات ، فأتى الفاحشة فى دبور الفتيات .كل هذا ثبت فى محاضر الشرطة و محاضر الأخصائيات الاجتماعية فى مدارس هؤلاء الفتيات . لكن الخبيث أتى بمن ضاع دينهم و ماتت ضمائرهم من اجل المال ، فدافعوا عنه تارة بمحاضر الصلح التى رضيها الأهل حفاظا على مستقبل الفتيات ،و تارة بثغرات القانون الذى يحكمنا .

أما اليوم فلا مناص ولا نجاة له من تهمة الاغتصاب التى مثل أمام عدالتكم من أجلها ، فالشيطان بعد أن افترس الطالبة .... فى الشقة التى يمارس فيها عمله كمدرس خصوصى، ويمارس نزوته كشيطان فاجر،موهما اياها بأنه يحبها و سوف يتزوجها بعد انتهاء العام الدراسى ، خاصة أنها فى السنة الأخيرة من دبلوم التجارة، لم يكن يتوقع أن الجرأة ستأخذ ضحيته لتصارح شقيقتها المتزوجة بما حدث ، خاصة بعد أن رأت بأم عينيها زميلة لها على نفس السرير الذى تستسلم له عليه وبنفس الطريقة التى يمارسها معها من الأمام بغير فض البكارة، و من الخلف كلقاء جنسى كامل .فطاش صواب شقيقتها التى مكثت أسبوعا تستشير خفية زميلات لها فى العمل، فأجمع رأيهن على أن المقصودة من القصة حتما قد خسرت بكارتها غير مقتنعات بأن ذئاباً يمارسون هذه الأوضاع مع فتيات بدون فض

للبكارة و أنه لا مناص من وقوع اللقاء الجنسي الكامل ،فهرعت بشقيقتها إلى طبيبة أخبرتها أن بكارة شقيقتها سليمة، إلا أن شقيقتها الطالبة حامل نتيجة تسرب منى ذكر إلى داخل الرحم ، فإذا بالمصيبة مصيبتين ،و إذا بالكارثة كارثتين ، فالفتاة حينما يسلبها كلب ضال شرفها من قُبل أو دُبر فتلك مأساة تظل ترافقها مدى الحياة . وتؤلمها كداء عضال تتجدد آلامه كلما تجددت ذكراه، فإذا حملت سفاحا جمعت بين ألم النفس التى تحوى السر و ألم الفضيحة على أعين الناس .

و أدركت الشقيقة الكبرى أن السر إذا خرج من صدر صاحبه لم تحفظه صدور الناس، فلم تخبر به أحداً حتى زوجها حتى تحتفظ لديه بالتقدير و الاحترام الذى قد تفقده إن أخبرته خبر شقيقتها الطالبة، فهرعت إلى الماثل أمام السادة القضاة وواجهته بجرمه، فاعترف لها بكل وقاحة أنه لم يسلب شقيقتها شيئاً منها رغما عنها، بل كانت تأتيه مع كل لقاء فرحة مسرورة بنشوة الفراش، مثلما تفعل فتيات الأفلام و المسلسلات .

وكما ورد بالمحضر فاجأته بأن شقيقتها حامل منه فقال يزجه الغضب :

(ليس منى، إن كان، فالمرأة أو الفتاة إذا استسلمت لشخص ما استسلمت لآخرين، حتى و إن أقسمت له الأيمان المغلظة أنها تحبه ولا تستسلم لسواه...

فهددته بالقتل، فهددها بالفضيحة، فاسترحمته فلم تجد عنده رحمه، إستعطفته فلم تجد عنده عطفاً، فاستمرأته، فلم تجد عنده مرؤة، ولا ضمير فليس للزناة رحمة ولا عطف ولا مرؤة .وبعد جدل طويل و حديث امتد أكثر من ساعة كان خلالها يرمى بعينيه إلى أعلاها وأسفلها ساومها على نفسها مقابل أن يتزوج شقيقتها مدة ثم يطلقها،

فخير لها أن تحمل لقب مطلقة من أن تحمل لقب عاهرة فقدت شرفها وأتت برؤوس ذويها فى الوحل .حينئذ طاش صواب الشقيقة الكبرى وكتمت صرخاتها قبل أن تخرج عبر النوافذ المغلقة، و سبته، والسب غير مجد فى هذا ، فهجم عليها الذئب و أحكم عليها قبضته بين يديه ورجليه، و اغتصبها بنفس المكان الذى طالما افترس فيه شقيقتها الطالبة بدبلوم التجارة .. انهارت قواها .. وهى تبكى مذعورة راحت تغلق البلوزة التى انفرطت أزرارها بدبابيس طالبات و تلميذات تركن بعض دبابيسهن على منضدة صغيرة أسفل المرآة ..جمعت شعرها بالمشبك الذى تجمعه به خلف ظهرها ..وولت تجرى تجاه الباب وقد أمتلكها الرعب من هذا الذئب الضال، حتى أنها لم تستطع أن تحمل معها سروالها الداخلى و (سنتيانها) الممزقين ..ثم أتتنا تطلب حماية النيابة العامة ولذا فأنى أطالب عدالة المحكمة بتوقيع عقوبة الإعدام على المتهم بعد ثبوت جريمة الاغتصاب، خاصة بعد أن أثبت الطب الشرعى أن المنى الذى أخذت عينه منه من بين فخذى المجنى عليها هو نفس منى الخبيث الماثل أمام عدالتكم .

انتهت مرافعة النيابة ...

أشار محامى الاتهام الذى وكله أهل المجنى عليها يطلب المرافعة.

رد رئيس المحكمة :

إن كان لديك إضافات فتفضل و إلا فالنيابة قد أفاضت..

رد محامى الاتهام .

فقط أريد إثبات تأييدى لما جاء فى مرافعة النيابة، ولدى هيئة المحكمة صورة ضوئية من مذكرة الاتهام .

محامى شهير بعلاقته الوطيدة بمخبرى الشرطة وبعض ضباط المباحث وبعض موظفى المحكمة و بعض أطباء المستشفى العام وقف :

حاضر عن المتهم ..

سيدى الرئيس ..السادة القضاة ..السيد رئيس النيابة .

لقد زعمت النيابة زعما لم يقم عليه دليل، وطالبت عقاب رجل برئ بجريمة لم يرتكبها وهى جريمة اغتصاب المدعية، بل إن النيابة جعلت من المتهم -وهو برىء- شيطانا يعيث فى الأرض فسادا . وهو غير ذلك .

أما الأدلة التى استندت إليها النيابة وهى محاضر الشرطة التى حُررت ضده، وتقارير الأخصائيات الاجتماعية بمدارس بعض التلميذات و الطالبات، فلم يُدن موكلى بناءا على أحدها و قد كانت مكائد حقد على نجاح الماثل أمام عدالتكم .و قد تكون الدروس الخصوصية جريمة إذا استندت إلى نص من القانون ،لا إلى قرار من وزير التعليم الذى شتت التلاميذ و من خلفهم الأسر فى متاهات التغيير والتبديل من عام إلى عام بدعوى التطوير .

وعلى كل حال فقرار الإحالة لم يشملها .أما جريمة الاغتصاب التى قد تبلغ بهذا الشاب البرئ ! غرفة الإعدام ونهاية الحياة التى عظم الله حرمتها! فهى أيضا لم يقم عليها دليل قاطع، و القاعدة فى القانون أن الدليل إذا تطرق إليه الاحتمال سقط به الاستدلال، وكل الأدلة التى استندت إليها النيابة العامة تدور فى ذلك الشك و الاحتمال، لا القطع ولا اليقين، و تفصيل ذلك :أولا : المجنى عليها حينما عرضت على النيابة فور تقديم بلاغها إلى السيد وكيل النيابة لم يثبت بمحضر النيابة أن بجسد المجنى عليها المغتصبة كما زعمت علامات خدش أو جرح فى وجهها أو صدرها أو أى مكان آخر منها نتيجة عملية الاغتصاب، فالأصل فى الاغتصاب أن يقع بالقوة، و لم يقم على ذلك دليل سواء فى جسد المجنى عليها كما تزعم أو جسد المتهم البرئ ، أما الحوار الطويل الذى دار بين المجنى عليها و المتهم فهو من وحى مكرها و سترا لنفسها الخبيثة و شهوتها الدنيئة التى تحركت فيها بينما هى مع شاب

لأكثر من ساعة فى شقة خاصة، تعرف عنه كما شاع أنه مرغوب لدى هذه وتلك كما شاع عن بعض الممثلين أنهم أساتذة فراش و جنس، فهفت إليهم قلوب وشهوات من يردن الحرام مع الأنجاس، رغم أن الشهوة واحدة والمكان واحد، فحدثتها نفسها إذاك أن تجمع بين ستر شقيقتها أمام الناس و إرداء غريزتها من هذا الشاب فسلمته نفسها وقالت : هيت لك حتى إذا انقضت شهوتها وذهبت سكرتها فاجأها بأنه لن يتزوج شقيقتها لأنه لا يدرى من أى شخص جاءت أختها بحمل السفاح ، وحينذاك أدركت أنه لا حيلة معه، فاصطنعت ما كذبت به على النيابة العامة ..

قاطعه رئيس النيابة :

و ماذا يقول الدفاع إذا كان تقرير الطب الشرعى أثبت أن المنى المأخوذ فور وقوع الاغتصاب من بين فخذى المجنى عليها هو نفس منى المتهم، و ماذا يقول الدفاع إذا ثبت فيما بعد أن المولود من الشقيقة الصغرى طالبة الدبلوم هو ابن الجانى نفسه ؟.

محامى الدفاع :

لا ينبغى عقلا و منطقا أن تقرر النيابة أن المولود الذى سيأتى بعد شهور من طالبة الدبلوم هو ابن المتهم ولم يقم على ذلك دليل .بعد. أما أن المنى المأخوذ من بين فخذى المجنى عليها هو نفس منى المتهم فإن كان دليلا قاطعا على وقوع اتصال جنسى بين المذكورة و المتهم فهو صحيح أما أن يقوم دليلا على جريمة الاغتصاب فهو غير صحيح ، لأن استخدام القوة فى الاتصال الجنسى لم يقم عليه دليل، فنحن إذن أمام اتصال جنسى برضاء الطرفين إن كان فيه منُ مدان ، فالمدان هو المذكورة ،لأنها متزوجة أقرت به كتابة وشفاهه ، فالأولى بالعقوبة هى؟ لا هو إن رغب زوجها فى ذلك وهذا نص القانون الذى يحكمنا ...

محام الاتهام :

و ماذا يقول الزميل فى (الكولوت) و (السنتيان) الممزقين ؟!.

محام الدفاع :

وأين همـا ؟ ..لم يتم تحريزهما فى شقة المتهم، ولا حتى فى حوزة المذكورة !.

النيابة :

و البلوزة المنفرطة الأزرار ؟! .

محام الدفاع :

حتى هذه لا تقوم دليلا على العنف فى الاتصال الجنسى، فما أيسر أن تنزع المدعية أزرار بلوزتها و تستبدلها بدبابيس، إن المذكورة لم تفلح فى إحكام الكذب و التدليس، فأتونى بدليل ...

النيابة :

إن الزميل المحامى يعلم جيدا سيرة من يدافع عنه، و بين يدى عدالة المحكمة محاضر محفوظة، و تحريات تقول إن المتهم لم تنج منه تلميذة أو طالبة واحدة اعتادت عنده الدروس الخصوصية .

محامى الدفاع :

ولماذا إذن لم تنقطع دروسه ولم تغلق شقته المستأجرة

محامى الاتهام :

لأن الآباء و أولياء الأمور آخر من يعلمون دائما ما يجرى لبناتهم! .

محامى الدفاع :

إذن حاكموا أولياء الأمور بتهم الإهمال وبلادة الحس و الضمير وضياع الدين .

النيابة :

نطالب عدالة المحكمة بتوقيع أقصى عقوبات الاغتصاب على المتهم .

محامى الدفاع :

نطالب عدالة المحكمة ببراءة المتهم مما هو منسوب إليه، لعدم كفاية الأدلة، وعدم قطعية الأدلة القائمة، و استنادها إلى الظن و التخمين لا القطع و اليقين .

رفعت الجلسة للمداولة ثم عادت..

محكمة

وقف الجميع ..

ساد الصمت ...

رئيس المحكمة :

بعد الإطلاع على الأوراق و المستندات، ومحاضر التحريات، ومحاضر الشرطة و النيابة، و تقرير الطب الشرعى، وبعد الاستماع إلى مرافعة النيابة العامة، ومرافعة محامى الدفاع عن المتهم، تقرر بإجماع الآراء براءة المتهم مما هو منسوب إليه لعدم كفاية الأدلة وعدم قطعية القائم منها ..و إذا تحكم المحكمة بهذا الحكم فهى على شعور ..

انهارت الشقيقة الكبرى ..راحت تصرخ ..من خلفها انهال أشقاؤها على شقيقتهم طالبة الدبلوم ..لكما وضربا ..حتى سال وجهها دماً .. زوج الشقيقة الكبرى راح هو الآخر يكيل لزوجته الكفوف و اللكمات ..تدخلت الشرطة وحالت بين الأشقاء وشقيقتهم طالبة الدبلوم، وبين الزوج وزوجته .

صمت الجميع مرة أخرى..

استكملت المحكمة نطقها بالحكم ..

وإذ تحكم المحكمة بهذا الحكم، فهى على شعور بأن المدرس الذى برأت ساحته لا يخلو من شبهة العبث بأعراض الناس، وإذا تحكم المحكمة بهذا الحكم فهى تناشد أولياء الأمور ألا يغلقوا على بناتهم الأبواب مع المدرسين فى شقق الدروس الخصوصية، أو فى بيوت الأباء

أنفسهم، و ليبحثوا لبناتهم عن مدرسات أمينات ذوات دين إن كان من الدروس الخصوصية بد، وكذلك فالمحكمة تناشد وزير التربية والتعليم أن يشدد رقابته على مدارس الوزارة، و المدارس الخاصة التابعة لها، و أن يرعى فيها الدين و الفضيلة، فالجيل على شفى الهاوية، وكذلك أن يوفر لمن هم فى حكم بناته و الله سائله عن ذلك مدارس خاصة بهن..

و بينما يتلو رئيس محكمة الجنايات نص حكمه تسللت الشقيقة الكبرى من بين الجالسين أول القاعة !! و على مقربة من قفص الاتهام صوبت نحو المدرس مسدسا خرجت منه ثلاث رصاصات إلى صدره.. اندفع إليها أحد حراس المحكمة أمسك بها من ظهرها فطاشت الرصاصة الرابعة فأصابت الميزان المرسوم أعلى القضاة ...

***

الرايات البيضاء !

أيام ...

و تقوم دولة إسرائيل الكبرى من الفرات إلى النيل ...

كما كان يحلم اليهود منذ عام ١٨٩٧ ..

هكذا راحت تردد جميع وكالات الأنباء العالمية ...

على الهواء مباشرة صور المطارات و الموانى المصرية تسقط مطار بعد مطار وميناء بعد ميناء فى أيدى القوات الإسرائيلية الأمريكية الإنجليزية المشتركة .. بعد أن صارت خرابات أتاها القصف الجوى والصاروخى من كل اتجاه ..

طائرات إف ١٦ أمريكية ، و شبح إنجليزية ، انطلقت من حاملات طائرات فى البحر المتوسط ، و قواعد حلف شمال الأطلسى فى إيطاليا و اليونان وقبرص و تركيا ، دمرت موانى ومطارات الإسكندرية و برج العرب ومطروح و بور سعيد والإسماعيلية و السويس و القاهرة ...

طائرات أخرى انطلقت من مطارات إسرائيلية فى تل أبيب و رفح وحيفا و يافا و صحراء النقب دمرت مطارات مصرية شمال ووسط سيناء قال عنها المصريون أنها مطارات مدنية ...

فى نفس الوقت .. من البحر الأحمر انطلقت طائرات أخرى من فوق حاملات طائرات أمريكية و إنجليزية دمرت مطارات و موانى مصرية جنوب سيناء ...

من الجنوب لم تأت تقارير عن الغذو من هذا الاتجاه ، إلا أن جون جارانج فتح أجواء السودان الجنوبية لهبوط طائرات إف ١٦ و إف ١٥ ، شبح ، وطائرات شحن عملاقة تحمل جنودا و عتادا عسكريا ...

مراسل CNN الأمريكية سأل جون جارنج :

دكتور جون .. لماذا لم تسمح لنا بشحن هذا العتاد العسكرى قبل بدأ المعارك ولو سرا ؟ .

أجـــاب : بل سـمحـت ، و لكن أخـوانى فى cia أرجئـوا تنفـيذ الحشد إلى ساعة انطلاق الغارات من الجهات الأخرى ....

و لماذا؟ .

لأن المخابرات المصرية تعلم أن أثيوبيا و إريتريا و كينيا و أوغندا مخازن سلاح أمريكية ، فلو تم نقل الطائرات ، و بطاريات الصواريخ ، و الأسلحة الأخرى إلى المسافة الأقرب من الأهداف المصرية الجنوبية وهى جنوب السودان حيث دولتنا المسيحية ، فلن تتردد المخابرات المصرية فى إعتبار ذلك بداية الحرب ضد دولتهم ...

غربا لم تستطع ليبيا اعتراض القاذفات الأمريكية و الإنجليزية والإسرائيلية المشتركة، و هى تعبر الأجواء الليبية لتقصف مطارات وأهدافا عسكرية فى صحراء مصر الغربية..

صرح (شلقم) :

نحن على الحياد ..نحن دعاة سلام ! .

وكالات الأنباء العالمية

و مازالت القوات المسلحة المصرية لم ترد بعد ...

محلل عسكرى :

لا أعتقد أن مصر سترد بهجوم جوى أو صاروخى مضاد بعد أن فقدت كل مطاراتها و موانيها الحربية و المدنية ..

جميع المحللين أجمعوا على ذلك ...

لم يعد أمام المصريين إلا الحرب البرية !! .

لقناة الجزيرة القطرية ..

أكد وزير الإعلام المصرى أن الحرب لم تبدأ بعد وأن الغزاة سيموتون على أسوار المدن المصرية .. تماما كما كان يقول الصحاف يوم

بدأ احتلال أمريكا وإنجلترا للعراق ....

سأله المذيع فى عجب :

كيف لم تبدأ الحرب بعد ، و قد فقدتم أغلب مطاراتكم و موانيكم الحربية والمدنية إن لم يكن كلها ؟! .

أجاب :

الأمريكان لا يجيدون سوى القصف الجوى والصاروخى، و نحن لدينا قوات برية مشهود لها بالشجاعة و البسالة ،و مازالت مدرعاتنا ودباباتنا ،و أسلحة جيشنا الأخرى لم يبلغها قصف العدو .....

وجه المذيع سؤال إلى خبير عسكرى فى لندن يطلب منه الرد على وزير الإعلام المصرى

فأجاب :

نعم .. لدى الجيش المصرى قوات برية قادت أعظم حروب التاريخ وانتصرت إلا أنها لن تدفع عن نفسها أو شعبها إذا ما أتاها القصف الجوى و الصاروخى من كل اتجاه ! .

ساعة بعد ساعة يعلن الوزير نفسه أن مدينة من مدن الشمال أو الجنوب أوالغرب أو الشرق تعرضت لقصف جوى أصاب مرافقها العامة ، و أن بربرية العدو شملت حتى المستشفيات و المدارس ، ناهيك عن مراكز الشرطة والمصانع و الجسور و المنشآت الاقتصادية ....

ثم بعدها بدقائق تعلن قيادة القوات المشتركة أن القصف لم يتعد المنشآت العسكرية ....

قناة الجزيرة القطرية سألت المتحدث باسم الجيش المصرى :

و ماذا عن ردكم ؟ .

الرد لم يحن بعد ... سنلقن الأعداء درسا تاريخيا حينما تبدأ الحرب البرية ..

أفـادت التـقـارير الـواردة من قـيـادة القـوات الأمـريكيـة الإنجليـزية الإسرائيلية المشتركة أن قوات التحرير أنهت بنجاح كبير عمليات القصف الجوى و الصاروخى للمنشآت العسكرية المصرية دون التعرض للأهداف المدنية كما زعمت البيانات المصرية .. و قد سيطرت قواتنا سيطرة تامة على المجال الجوى المصرى .. و أن عمليات الإنزال الجوى والبحرى لقوات الصاعقة و المظلات بدأت فجر اليوم فى العريش ورفح والإسماعيلية و بور سعيد و السويس و الإسكندرية ...

الرئيس الأمريكى عقد مؤتمرا صحفيا قال فيه ! .

باسم الأمة المسيحية، و رعاية الرب ،بدأنا أخر حروبنا المقدسة لنشر العدل والديمقراطية و حقوق الإنسان ،و القضاء على الإرهاب والتطرف ، فى دول طالما غاب عنها العدل و الديمقراطية و حقوق الإنسان، و رعت الإرهاب و التطرف، و قد كانت مصر أخر معاقل الظلام فى عالم النور الذى نريده لمنطقة الشرق الأوسط ،و ليعش إخواننا اليهود فى دولتهم التى أغتصبها منهم العرب من الفرات إلى النيل و ليبقوا دائما خط دفاعنا الأول ضد هؤلاء المسلمين البرابرة الإرهابيين .

أحد الصحفيين سأل الرئيس الأمريكى :

و لكن أحداً لم يتهم مصر من قبل أنها دولة راعية للإرهاب ، بل إن الحكومة كانت معكم قدما بقدم و ساقا بساق فى محاربة الإرهاب فما هى أدلتكم على أن مصر دولة راعية للإرهاب ؟ .

الرئيس الأمريكى :

أدلتنا الأزهر، و مادة التربية الإسلامية فى مراحل التعليم العام ، ونص الدستور المصرى فى مادته الأولى على أن الإسلام دين الدولة ، وفى مادته الثانية على أن الشريعة الإسلامية مصدر التشريع ، آلاف الجمعيات الإسلامية التى تقوم على تحفيظ القرآن و تعليم الصغار

مكارم الأخلاق كما يزعمون ،و عشرات الملايين من رواد المساجد باستمرار ،كما أفادت تقارير ال cia أن قواد الجيش و ضباطه وكذلك الشرطة والوزراء و رئيس دولتهم،يحافظون على الصلاة ، وأسرهم على مستوى عالى من الأخلاق الإسلامية التى تربى التطرف والإرهاب .

و لماذا لم تعلنوا من قبل عن هذا الاتهامات ؟!.

الرئيس الأمريكى :

كان مكرا سياسيا تستدعيه ظروف القضاء على قوى إسلامية أضعف !.

صحافية :

إن كانت هذه هى أدلة اتهام مصر برعايتها للإرهاب فما هى أدلة اتهامها فى مجال الحرية و حقوق الإنسان ؟.

لقد طلبنا من المصريين مرارا و تكرارا إطلاق حرية الجنس بين الرجل و المرأة و الشباب والشابات و التصريح بملاهى الحب الرسمية ،و إباحة الإجهاض ،وبث قنوات الجنس الترفيهية ،كحقوق أساسية من حقوق الإنسان ..،و صور طبيعية من صور الحرية، فرفضوا ،كما أن للمصريين تاريخاً حافلاً فى اضطهاد إخواننا المسيحيين ،ولدينا آلاف التقارير عن المذابح التى نصبوها لإخواننا و صور القهر و الإذلال !.

مراسل منتوكارلو:

و ماذا عن روسيا و فرنسا و ألمانيا ؟ .

الرئيس الأمريكى :

لاحديث اليوم عن القوميات ،نحن أمه صليبية واحدة !.

مراسل صوت إسرائيل ! .

سيادة الرئيس ،و ماذا عن سير العمليات ؟! .

الرئيس الأمـــريكـى :دمرت قـواتنا المشتركة ، تقريبا ،كل مطارات وموانى المصريين الحربية ،ومن فجر اليوم يجرى إنزال قوات صاعقة

ومظلات .

في مصر .....

داخل المدن هياج عم الشوارع ..أصحاب المحلات ...بعضهم أغلق أبوابه ،و بعضهم راح ينقل بضائعه إلى المخازن ..التلاميذ خرجوا من مدارسهم بدون إذن من إدارات المدارس يهرولون إلى المنازل ..أطفال يصرخون في كل مكان ..كثيرون تعثروا بحقائب المدارس و سقطوا على وجوههم ..بعضهم راح يرفع المتعثرين ...أخذ أكبرهم بيد أصغرهم .

سيدة أمسكت بكتف ولدها الشاب و هو يكمل ارتداء ملابسه العسكرية في الشارع ..

(رايح فين يا حبيبى)

ضرب على كتفها و تسربت من عينه دمعات :

إلى مندوب التجنيد ..

تدفق الشباب من كل البيوت يرتدون الملابس العسكرية ، تلاحقهم دعوات الأمهات ..

صدرت الأوامر للشرطة بإطلاق النار على كل من يقترب من مقرها للشغب ، أو يشترك في تخريب أو تجمهر ..

حالات موت بالسكة الدماغية ،و أخرى بالسكة القلبية ،وصلت المستشفيات في كثير من عواصم المدن ...

أحد كبار السن اعزلاً وقف أمام أحد مراكز الشرطة يصرخ بهستيريا : يا (خبر أسود) الأمريكان و الإنجليز و اليهود (تاني) .

خرج إليه أمناء شرطة يوجهون صوبه أسلحتهم الرشاشة ..

رفع يده عاليا ،و راح يرقص أمامهم و يهزو :

سنة و سنتين ..... سنة و سنتين

سبعة و ستين ... سبعة وستين

وانتا ياقلبى .. يا حبيب العين
سبعة وستين .. سبعة وستين
فين الجيش المصرى فين
فين الجيش المصرى فين

ثم أجهش العجوز ببكاء صدع قلوب المراقبين له عن كثب يستطلعون أمر من ذهب خبر الهزيمة بعقله ....

وجه الرئيس كلمة إلى الأمة يدعوها إلى الصمود إلى جانب قواتنا البريه الباسلة ضد الأعداء ..

مراسل قناة الجزيرة فى العاصمة الأردنية (عمان) أفاد أن أعدادا من ممثلين وممثلات ومخرجين وراقصات ، وتجار ، مخدرات، وتجار رقيق أبيض، وتجار سلع غذائية، وصلت العاصمة الأردنية طلبا لتأشيرات إنجليزيه وأمريكية وايطاليه ...

سأله المذيع :

وهل وافقت سفارات أمريكا وإنجلترا وايطاليا على طلبات التأشيرة ؟.

أجاب :

بالفعل ...وقد سافر بعضهم إلى لندن ونيويورك وروما بعدها بساعة ....

فى مطار عمان ..

إحدى الممثلات، خلفها صديق لها، عند باب الخروج إلى الطائرة قالت أنها قررت الخروج من مصر والتوجه إلى لندن بحثا عن مستقبل أفضل، فالفنان داعية حب وسلام، لا يستطيع الإبداع وسط الإرهاب والتطرف والخراب والدمار !!! .

إحدى الراقصات قالت إنها ستسافر إلى نيويورك لعرض القضية على الشعب الأمريكى كى يتحرك من أجل السلام ..

سألها مراسل الجزيرة :
ولكنك لا تتكلمين الإنجليزية ؟! .
ردت عليه :
الرقص من أجل السلام أفصح كلام .
وما زالت المعارك دائرة ...
اشتباكات ضاريه بين القوات البريه الغازية والقوات المصرية حول المطارات والموانى التى تم قصفها جويا وصاروخيا ...ولكن خسائر المصريين فادحه ...
آلاف الدبابات والمدرعات التى حشدها المصريون احترقت .. عشرات الآلاف من خيره الجنود سقطوا خلال ساعات ...
من مواقع المعارك بثت وسائل الإعلام مشاهد الهزيمة ...
أحد المصورين الغربيين الهواة ، نقل إلى إحدى شبكات التليفزيون مشاهد لجنود أمريكان و إنجليز وإسرائيليين يغتصبون مصريات كن يعملن فى المستشفيات العسكرية طبيبات و ممرضات و عاملات برتب مختلفة ..
قائد الفرقة التى ارتكب جنودها و ضباطها عمليات الاغتصاب ، أنكر عمليات الاغتصاب ، وقال : هذه مخالفة للقانون الدولى !.
سأله مذيع القناة التى بثت مشاهد الاغتصاب :
و لكن أسر الجنود و الضباط الذين مارسوا الاغتصاب تعرفت عليهم ؟! .
رد الجنرال :
استفسرت عن هذه المشاهد من قواد الجنود فقالوا : أنهم فرحا بالنصر الكبير على المصريين مارسوا الجنس مع صديقاتهم فى المار ينز ، و لكن مصورا من الهواة سنتعقبه قانونا تعدى على حريتهم الشخصية فصورهم خلسة ! .

لم يستطع وزير الإعلام المصرى إنكار الهزيمة، كما أنكر عبد الناصر نكسة سبعة وستين ، وكما أنكر الصحاف هزيمة العراقيين .
سألته قناة العربية عن أسباب الهزيمة ..
قال :
لقد قاتلت قواتنا ببسالة نادرة تفوق الوصف كما عهدناها دائما ، ولكن تفوق العدو الجوى رجح كفة الغزاة !و . . .! .
قاطعه المذيع :
ولكنك قلت وكذلك قال كثير من الوزراء و المحافظين أن الموت ينتظر الغزاة على أيدى القوات البرية ، و جاءت المعارك بعكس ما قلتم ، و كأن الموت كان ينتظر قواتكم لا قوات الغزاة ! .
رد الوزير ! .
مازالت المعارك لم تنته بعد ...لقد اكتسح هتلر دول أوروبا الكبرى فى الحرب العالمية الثانية ،ثم انتهت الحرب بهزيمة ألمانيا !! .
ضابط صاعقة مصرى أسرته قوات الغزاة ،سأله مراسل cnn :
انهزمتم ؟
أجاب : نعم .
ولكنكم طالما افتخرتم بقواتكم البرية ؟! .
حشد القوات البرية بدون حماية جوية سراب يهرول خلفه القادة الأغبياء ليبرروا الهزائم و النكسات ! .
إذن .. ماذا حدث ؟.
اشتبكنا مع قوات العدو ! رجلا لرجل، و فروا أمامنا لأميال خائفين جبناء ، ولكن تفوق العدو الجوى كبدنا الخسائر الفادحة فى الجنود و العتاد ..
ألا تخاف من وصفك لقوات الحلفاء بالعدو والجبناء ؟.
لقد علمتنى الصاعقة المصرية ألا أخاف إلا الله .

صدرت الأوامر للقوات البرية على اختلاف تشكيلاتها بالتوجه صوب المدن لتبدأ حرب المدن ضد الغزاة ..

أخذ وزير الإعلام يطلق شعارات الحرب كالدانات تدوى فى مواقع القتال ... صدر نداء من رئاسة الجمهورية و قيادة القوات المسلحة عبر التليفزيون ومحطات الراديو إلى الشعب ليقف إلى جوار قواته المسلحة...

و بدأت تتدفق فلول القوات المصرية ..عاملة و احتياط .. صوب المدن .. ملايين من خيرة الشباب بأسلحة خفيفة و صواريخ محمولة على متن ما بقى من مدرعات نقل الجنود و العتاد..

و لكن مفاجأة لم تكن لأحد فى الحسبان صعقت عقول قواد الجيش و جنوده وآلاف الملايين المتابعة للحرب عبر وسائل الإعلام ..

مع دخول فلول القوات المصرية إلى المدن وجدوا فى كل مكان رايات بيضاء مرفوعة على مداخل الشوارع و نوافذ البيوت و قد كتب عليها :

قاتلوا وحدكم خارج المدن ...
فإن انتصرتم فقد أديتم ما عليكم ...
وإن انهزمتم فلسنا كبش الفداء ...

***

موائد العُرس جمعتٌ صنوفاً من الأكل من كل بلد...

أطنانٌ من الورود غطت أرض القصر ..كلما ذبلت تحت الأقدام أسرع خدمُ السلطان يجمعونها ، و خدمٌ آخرون نثروا غيرها ...

آلاف الروائح .. من بلاد الهند و السند ، و الروم و الفرس ، والعرب ، فاحت من كل شبر فى قصر الملك ...

مئات الغانيات من كل جنس رحن يطفن على الملوك و الأمراء و الرؤساء و الملكات و الأميرات و سيدات المجتمع بأطباق الفواكه وزجاجات الخمر المعتق منذ عشرات السنين ..

كاميرات المراقبة فى كل مكان ..و فى كل زاوية ..

الحراس المدججون بأحدث أنواع الأسلحة ، يرصدون كلّ حركة ، ويراقبون كل وجه بأدب و ذوق ، فربما يتسلل غريب بين الحضور ، ويغتال الجميع أو أحداً من الضيوف ..

داخل القصر ، و خارج القصر ، الحراس و كاميرات المراقبة يحرسون كلّ شئ إلا حجرات الملوك و الأمراء و الرؤساء الخاصة ..

من خلف سور القصر آلاف من جنود القوات الخاصة تجوب الشوارع التى أخلوا منها سكانها إلى أن ينتهى العُرس ، رغم أن أول شارع يبعد عن القصر حوالى كيلو متر ..

مئات الملكات و الأميرات و سيدات المجتمع يرتدين أفخم الثياب ويتزين بأندر عقود الذهب و الماس ، ينطلقن فى كل أنحاء القصر يتبادلن الحديث زمراً و أزواجاً، عن جلالة الملك هذا ، أو فخامة الرئيس ذاك ..سنّه .. شكله ..لياقته .. حنانه أو قسوته .. وكذلك فحولته ! .

بكل صراحة ..بدون مواربه ..من غير خجل ..

ففي حفلات الملوك و الأمراء و السادة الرؤساء ..كل شئ مباح ..
حتى لقاءات الغرف الخاصة !.

بشرط ...

ألا يراهم أحد ..

لعل ملكة من الملكات ، أو أميرة من الأميرات ، أو سيدة مجتمع مّن السيدات تبلغ أسرار ملك من الملوك ، أو أمير من الأمراء ، أو رئيس من الرؤساء ، فتؤدى بذلك أكبر خدمة للوطن !.

و ساعتئذ ، سيغفر لها جلالة الملك أو سيادة الرئيس ضعف البشر ..و لكنّ ملكات و أميرات و سيدات مجتمع يسعين لذلك رغبة فى المتعة ، أو انتقاماً من فجر جلالة الملك أو خيانة سيادة الرئيس ، وإن ادعين ؟ دائماً ؟ مصلحة الوطن !.

فمصلحة الوطن ستار كل ملكة ، و كل أميرة ، وكل سيدة مجتمع ، حتى الأميرة التى عشقت جندى المارينز و هجرت من أجله الدين و الأهل و الوطن نصحها خبثاء كى تغسل عار الإمارة و تعود إلى العائلة المالكة و الوطن أن تخلع جندى المارينز على الملأ و تدعى أن ما فعلته كان من أجل الوطن !.

و مصلحة الوطن كذبة كل رئيس و كل ملك
يتكلمون باسم الوطن ليرتعوا فى خيرات الوطن ، و تذل لهم رقاب أهل الوطن !.

أما عناء الشعوب ، و الحروب التى تبيد ملايين البشر ، فآخر اهتماماتهم ، و ليس مكان الحديث عنها حفلات الزواج أو ميلاد ولىّ العهد ، أو تنصيب الأمير ، أو تولى جلالة الملك أو مبايعة السيد الرئيس ..

مبدأ الجميع ...

اليوم خمر ، و غداً أمر ..
و أحيني اليوم و أمتني غداً ...
الأنس ليلة ، و الكرب سنة ...
الملكات و الأميرات و سيدات المجتمع يبحثن عن صيد من أصحاب الجلالة و الفخامة ..
و كذلك أصحاب الجلالة و الفخامة ، انطلقوا يبحثون عن صيد من صاحبات السمو و سيدات المجتمع .
صياد يبحث عن صيّـــاد !.
ذئب يبحث عن ذئب !.
كلب يبحث عن كلب !.
رجال المخابرات الذين يرافقون الضيوف يرصدون كلّ شئ دون أن يدرى أحـــد .. يتابعون الملوك و الأمراء و الرؤساء حتى أبواب الغرف الخاصـة .. و بلطف يغضون أطرافهم عما يقع خلف الأبواب المغلقة ، لأنه ليس من صميم العمل !.
دورهم الوحيـد داخل الغـرف الخـاصـة أن يتـأكـدوا أنه لا يوجـد بداخلـهـا كـاميـرات تصـوير أو أجـهـزة تنصت ، تحـمـل صـور و آهات الأميرات والممثلات و الراقصات و سيدات المجتمع ..
جـمـيع الملوك و الأمـراء و الرؤساء حـضـروا إلا أمـيـر واحـد مـن أمـراء العرب .. الكل فى انتظاره ..
و فجـــأة ....
دقت الطبول ، و عزفت مـوسيقى الوصول ، تعلن عن آخر الضيوف الذى أخرّه طول السفر ، قادماً من إمارة العرب ...
عـمـرو بـن هـشـام ..أبـو الحـكـم ..جاء من مملكته البعيـدة ليحضر حفل الزفاف الملكى بدعوة من جلالة الملك .
رجل عظيم الجســـد ، وسيم القسـمـات ، مـهـيب ، جـبـار ، من

جبابرة العرب ، له حضورٌ يعدل حضور ألف رجل ، بل مئه ألف رجل ، فى هذا الزمن ...

الملوك و الأمراء و الرؤساء من المحيط إلى الخليج تهللت وجوههم فرحا بقدوم أبى الحكم ،لعل أبا الحكم يمد لهم يد العون ، و يأذن لجيوشه أن ترد عنهم جيوش (بطرس) فى العراق و الشيشان و صربيا والبوسنا و الجبل الأسود ، و يرد عنهم جيش صهيون فى فلسطين .. لعل أبا الحكم تفزع به نخوة العرب لنجدة العرب ..

مدّ أحدهم رأسه كما يمدها بين زمر البربر الذين يقودهم بجهل وغباء لم يسبقه إليهما أحد ، و مال إلى (برلسكونى) الذى يجاوره قائلاً له يبتسم :

ابنُ عمى !.

وكذلك تهللت وجوه الروم فرحاً بمجئ أبى الحكم ، فأبو الحكم عدوُ لمحمد نبى العرب ، و من تبعهم من غير العرب ..

تقارع (بوش) و (بلير) و (شيراك) و (شرودر) و(أذنار) و (برلسكونى) كئوس الخمر ..

وفتحت الأبواب ...دخل أبو الحكم قاعة الحفل ..

رجل مهيب .. طويل القامة .. أحمر الوجه .. أسود العينين .. عريض الصدر .. مفتول العضلات .. يمشى كأعظم ملك .. و يخطو كأشجع فارس ..و من خلفه صاحباه :المطعم بن عدّى ، و أبو لهب ..

صفق له الحضور تصفيقاً رجَّ جنبات القصر ..

توافد عليه الحضور توافد الصغار على عظيم ..

صافح (بوش) و (بلير) و (شيراك) و (شرودر) و(أذنار) و (برلسكونى) مصافحة القائد المنتصر ، على غير ما صافحهم من قبل ملوك و أمراء و رؤساء العرب حينما التقوا..

لم يحن رأسه للملكة ، و لم يقّبل يد أميرة ،كما صنع من قبل ملوك

و أمراء و رؤساء العرب ! . .

و فى ذيل المصافحين توافد عليه ملوك و أمراء و رؤساء العرب !.

صافحهم بامتعاظ ، و ناداهم بأسمائهم مفردة ، بدون لقب !.

مال إليه (شيراك) و همس فى أذنه :

سيدى .. أبا الحكم .. لقد أغضبت إخوانك حكام العرب !.

فرد عليه :

ليغضبوا كيفما شاءوا ، أنزلتهم منزلتهم ، و تأبى رجولتى أن أنافقهم ..لست وزيراً من وزرائهم ، أو مديراً من مدرائهم ، أو صحفياً من المرتزقة الذين يأكلون بكذبهم ، أو ممثلاً آأكل بعرضى و أعراض البغايا ..أنا سيد من سادات العرب ...

انتبه الجميع إلى (بوش) رئيس الولايات المتحدة الأمريكية يتأهب لإلقاء كلمة التهنئة لسلطان جزر الذهب بمناسبة حفل زفاف كريمته :

إنه ليوم سعيد أن نجتمع اليوم فى جزر الذهب ، فى مثل هذه المناسبة السعيدة ،لنشارك جلالة الملك حفله الكريم ، و انها لفرصة لنتشاور فيما بيننا حول القضايا التى تهم مجتمعنا الدولى ، و على رأسها قضية الإرهاب الذى يهدد الأمن و السلم الدوليين ؛ و قد زاد من سعادتنا حضور صديقنا و حليفنا السيد عمرو بن هشام أمير إمارة العرب بعد غياب طال عن المجتمع الدولى ...

مال أبو الحكم إلى المطعم بن عدى و همس فى أذنه :

رحبّ (بوش) بى ، كأنى صديق عمره و زميل دراسته ، و أفاض لى مدحاً ، يستغبينى كما يستغبى اخوة العرب.....

غضب المطعم بن عدى وقبض أصابعه !

ويح أمه يستغبينا نحن سادات العرب ؟! و الله لأفضحنه على مسمع العجم قبل العرب !.

أخذه أبو الحكم من يده ، و نظر فى وجهه :

بل دع لى هذا الأمر يا أخ العرب
و توالت كلمات ملوك و أمراء و رؤساء الدول ..لم تخل منها كلمة من الترحيب بأبى الحكم ، و السيدين :المطعم بن عدى ، و أبى لهب الروم سواء و العرب ، و على غير ما توقع مئات الحاضرين فى القصر، ومئات الملايين الذين يتابعون الحفل عبر الإرسال المباشر ، بدأ أبو الحكم بتحية العرب !.
عمتم صباحاً ..عرباً و عجما ...
لم يقدم (بوش) أو (بلير) أو (شيراك) أو (شرودر) أو (أذنار) أو (برلسكونى) .. ساوى بين الجميع .. بل قدّم العرب .. لم تخدعه بهارج الحفل ، و لا كلمات الترحيب ، و لم تستغله سطوة الروم على العرب ..
كاميرات مجهولة تنقل عيون الحاضرات الزائغات يتفحصن صدر أبى الحكم و ذراعيه ، و فخذيه ..
إحداهن همست فى أذن رفيقتها :
يا له من صدر عظيم ..لرجل مهيب .. مازال محتفظاً بفحولة العرب ..و هيبة العرب .. و حضور العرب .
تمنت جميع الحاضرات أن يعتلين صدر أبى الحكم .. أو يعتليهن صدر أبى الحكم !!.
قالت إحداهن لأخرى :
وددت أن أجرب هذا الجبل ! .
ثم قال أبو الحكم :
لقد دعوتمونى كثيراً لأأتى حفلاتكم بعد عدواتى (محمد) رسول العرب ، فرفضت لأنى رجل شريف ، لا أخطب ودّ القوى بالإستطالة على ضعفاء البشر ..
فأنا رجل ...

إذا برزت للعداوة عاديت أعتى البشر ، و إن هلكت ..و لكنى لست كلباً أساق على أحد...

أنا رجل ...

و أعرف أنكم دعوتمونى لتستطليوا بى على أتباع (محمد) .. وليس حباً لى ، أو تقديراً لشخصى ، فأنا فى أعينكم بربرى من برابرة العرب ، و همجى من همج العرب ....

قاطعه (بوش) :

قطعاً خطأ ما تقول يا أبا الحكم !.

آزر (بلير) سيده (بوش).

مخبول العرب الذى أسلم عنقه لأعداء العرب :

أسكت يا أبا جهل ، لقد سودت وجوهنا ، بعد أن فتحنا باب السلام مع الغرب !.

ردّ عليه أبو الحكم :

و هل الجهل إلا فيك يا مخبول العرب .. يا إمعة القادة .. يا بائعاً وطنه ليشترى طول الإمارة ..

(برلسكونى) بخبث الإيطاليين خونة العدو و الصديق ، همس فى أذن (شيراك) ليدرك الموقف قبل أن يتفاقم ، ويفضح أبو الحكم كلّ الحاضرين ...

أشار (شيراك) :

نحن بلاد الحرية و الديمقراطية و حقوق ا لانسان ، لنسمع للسيد أبى الحكم يعبرّ عن آرائه ، و يشرح معتقداته !! .

و لكن المكيدة لم تخدع أبا الحكم ، فردّ على (شيراك) :

مكراً مكرته مع حليف الخيانة لتردنى عن شهادة ، إنْ لم أشهدها ستعيرّنى بها ، أبد الدهر ، العرب و العجم ..لا .. عن أى ديمقراطية تتحدثون ؟ و أى حرية تريدون ؟ و أين حقوق الإنسان فى

معتقداتكم ، و حروبكم ، و غزوكم ، و قهركم ، لاخوة العرب ...
(شيراك) :
السيد أبا الحكم .. اخوة العرب كلهم بيننا ، جاءوا مثلك لمشاركتنا هذا الحفل الكريم ، و التحاور من أجل عالم سعيد ...
أبو الحكم :
أنا لا أعنى بهؤلاء اخوة العرب ...أنا أعنى شعوب العرب .. لو أن لهؤلاء ذرة من كرامة ما شاركوكم كوب ماء ، و أنتم تقتلون العرب ، و تهتكون أعراض العرب ، فى فلسطين و العراق ، و غيرها من بلاد المسلمين التى صارت من العرب ..فهى على دين العرب ...
صغير من صغار العروش شدّ رأسه ، كالقط يحكى انتفاخاً صولة الأسد :
أنا كعربى لا أؤيد السيد أبا احكم .. نحن هنا كما قال السادة رؤساء الدول من أجل عالم أفضل .
رد عليه أبو الحكم :
أنت كأبيك الملك الذى أعرف تاريخه ، و لم تأت هنا من أجل عالم أفضل ، بل من أجل ولاية أطول ، و عهد أأمن ، و لكن عرشك لن يطول بعد أن يفرغ الصليبيون و اليهود من مصر ..آخر معاقل العرب ..
(كيرى) المرشح الديمقراطى آزر الجمهوريين ، رغم الاختلاف الكبير ، و حرب الرئاسة الأمريكية القائمة ..
ردّ أبو الحكم :
وأنت كبوش يا (كيرى) وجهان لعملة واحدة ، و عازفان للحن أمريكى واحد .
حاول مندوب مصر الذى حضر نائباً عن الرئيس أن يطفئ نار الغضب .. باءت محاولاته بالفشل ..

أصر (بوش) و (بلير) و (شيراك) و (شرودر) و (أذنار) و (برلسكونى) على تفنيد كلام أبى الحكم ، فلطالما قالوا لشعوبهم أن أبا احكم حليفٌ لهم من حلفائهم العرب ، فوقف (بوش) يقول : نحن لم نقتل العرب أو نهتك أعراضهم ،فى العراق ، أو فلسطين ، أو فى دولة مسلمة تتبع بلاد العرب ، فإسرائيل دولة من حقها أن تدافع عن نفسها ضد الإرهاب و الإرهابيين ، و العراق دولة أتينا إليها لنخلصها من ديكتاتور العرب و ننشر فيها الديمقراطية و حقوق الإنسان ...

ردّ عليه أبو الحكم ساخراً ، يدور بعينه بين رؤساء و ملوك العرب والعجم :

أما قتل الفلسطينيين فليس إرهابا ، و هدم بيوتهم ليس تخريباً وإبادة شعب و احتلال أرضه عمل مشروع ؟!..

عجباً لكم و لزمانكم ..

عجباً لعدلكم ..

و حكمكم ..

قاطعهما (بلير).

السيد أبا الحكم ، إذا كنت ترى فى الأمر ظلماً فالجأ إلى هيئة الأمم ومجلس الأمن ، و محكمة العدل الدولية ، و محكمة جرائم الحرب .

وقف لهم المطعم بن عدى :

الهيئة هيئتكم ، و المجلس مجلسكم ، و المحاكم محاكمكم ، فعدلها العدل الذى ترون ، و حكمها الحكم الذى تريدون ، و قرارها الذى تقررون !!.

ثم استطرد :

و كما تقتلون العرب فى فلسطين بأيدى إخوانكم اليهود ، تقتلون العرب فى العراق بأيدى إخوانكم الصليبيين ...

تمتم (بوش) :
عجباً لفهم العرب ، إن جيوشنا دخلت العراق ، لتخليصها من ديكتاتور و مجرم حرب ، و لنشر الحرية و الديمقراطية ، و حقوق الإنســـان .إننا دخلنا العراق من أجل مستقبل أفضل لأبناء الشعب العراقى ..

ردّ عليه أبو الحكم :
و أين كنتم من (صدام حسين) ثمان سنين يحارب إيران ؟! .
و أين كنتم من (صـــدام) أكثر من عشرين سنه يقتل الأبرياء ويغتصب الفتيات و النساء ؟! .

إنكم لم تغزو العراق لترفعوا عن العراقيين ظلم (صدام) و حزبه ، أو لتنشروا الحرية و الديمقراطية و حقوق الإنسان ؛ فكم من ديكتاتور يسركم بقاؤه ، و كم من مآسى يحياها البشر تزكون نارها بأسلحتكم وأمــوالكم .. إنكم غزوتم العراق لتحتلوا أرضها ، و تسلبوا خيرها ، ولغــزو (طهــران) من بعدها ، و لتبقى جيوشكم عوناً قريباً من إخوانكم اليهود ، الذين يحلمون بدولتهم الكبرى من النيل إلى الفرات ...

إنكم دخلتم العراق من أجل مستقبل أفضل لكم لا لهم ..
جمع (بوش) أصابعه المرتعشة ، و ملامحه المرتعدة ، ثم رفع رأسه ونظر بكبر يلازمه منتصراً و مهزوماً :
يبدو أن الولايات المتحدة الأمريكية ستعيد النظر فى أمر أبى جهل ، و سنضطر إلى إتخاذ قرار من مجلس الأمن بوضعه على قائمة الإرهابيين ، و ضم إمارته إلى محور الشر ...

علا صوت أبى الحكم :
و لو تم سأقاتلكم حتى آخر قطرة دم ..أنا لست حريصاً كمن تعرفون على حياة الذل .

من ورائه نادى المطعم بن عدى و فد إمارة العرب أن ينصرفوا راجعين إلى إمارتهم ...

لاحقتهم الكاميرات . انطلق الصحفيون وراءهم يسألون ابا الحكم ...كان أول سؤال :

لماذا غضبت من أجل العرب المسلمين رغم عدائك (محمد) ؟ .

أجاب : لأنى مازلت أحمل خصائص العرب : الشجاعة ، والمروءة ، والعزة ، و نخوة الرجل ..كيف يأتى الأعاجم ديارنا ، فيحتلوا أرضنا ، و يهتكوا أعراضنا ..لا عشنا ما داموا فى بلاد العرب .

سأله مراسل إحدى الفضائيات :

رغم عدائك (لمحمد) ؟! .

أجاب :

نعم .. رغم عدائى لأخ العرب

سأله مراسل أخر :

فى حوارك مع (بوش) و (بلير) حللت أسباب غزو الروم لبلاد العرب ، و مساندتهم لإسرائيل ، فما تحليلك لدوافع (بوش) و(بلير) الشخصية ؟ .

أجاب : أما (بوش) فصليبى ورث الصليبية عن أبيه الذى ورثها عن جده ، يحمل إنجيل العداء فى جيبه ، كما يحمله فى صدره .. أما (بلير) فصليبى كسيده بوش والعبد لسيده تابع لا يسمع إلا ما يسمع ولا يرى إلا ما يرى ولا يخطو إلا حيثما يخطو . .

ثم غادر أبو الحكم ..

هتفت جماهير العرب فى كل مكان

ليتهم كأبى جهل ..

ليتهم كأبى الحكم..

***